475

HARLEQUIN

روايات أحلام

قلب في خطر

ماغي كوكس

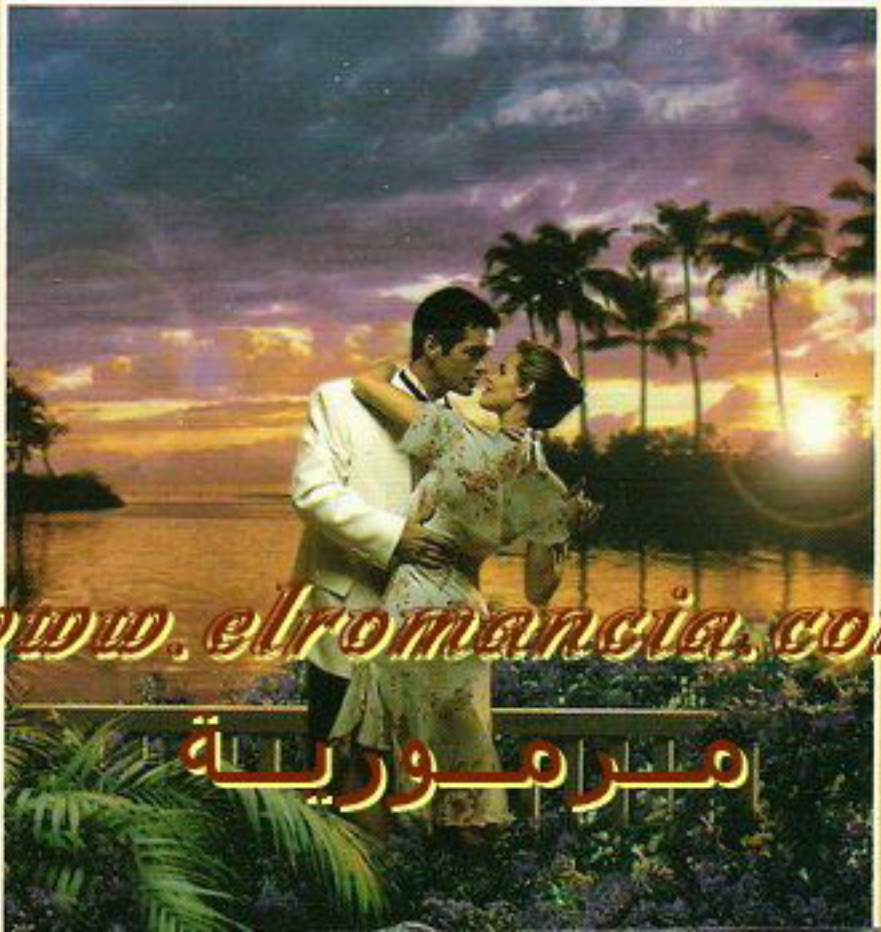

www.elromancia.com

مارمورية

قلب في خطر

ريس فيليه رجل وسيم و ناجح جداً ويملك من الاعتزاز بالنفس ما يجعله غير قادرٍ على إظهار مشاعره . والآن ، ها هي زوجته سوريل تهجره ولا تدع له حلاً إلا الطلاق . هذا ما كان يفكر به حتى اليوم الذي التقاها فيه بعد مرور ثلاثة أشهر على آخر لقاء . والمفاجأة ، زوجته حامل ! طار صواب سوريل . فهل يستخدم نفوذه عليها انتقاماً منها لأنها هجرته ؟ لكن قيود الزواج هي الحل الأمثل حتى لو كان ذلك يعني أن تبقى زوجة ريس بكل ما يعني ذلك من عودة للمشاكل !

ماغي كوكس

عندما شاهدت ماغي كوكس أحد الأفلام الرومنسية الذي أثر فيها تأثيراً شديداً، ولد تعلقها بالروايات العاطفية. ومنذ ذلك الحين وهي تحلم وتبتكر رواياتها الخاصة سراً على أمل أن تُنشر رواياتها يوماً وتمتهن عملاً تحبه!

الآن وقد تحقق حلمها، تشكر ربها كل يوم على النعم التي أغدقها عليها.

هي متزوجة من رجل رائع وأم لابنين رائعين أيضاً. أما هواياتها فهي إلى جانب اهتمامها بعائلتها وحبها للتأليف والمطالعة، الموسيقى، ومشاهدة الأفلام.

١ ــ لا أعرفك!

لطالما خشيت سوريل قدوم هذا النهار. بدا لها كأن الغرفة ذات الطابع الرسمي التي دخلت إليها تردد أصداء خوفها. أحست أن لامجال لحصول أمر إيجابي داخل جدران هذه الغرفة ذات الأطر المصنوعة من خشب السنديان، والتي بدت لها غير مرحّبة على الإطلاق.

في الخارج يسود نهار ربيعي مجيد، صفاؤه يدخل البهجة والسرور إلى القلب، أما داخل هذه الغرفة الموحشة فلم تحس سوريل بشعور مماثل، إذ لا مجال للاحساس بالأمل أو بالتجديد على الإطلاق. كيف يمكنها أن تشعر بذلك في حين أنها على وشك أن تقابل وجهاً لوجه زوجها الذي هجرته منذ ثلاثة أشهر لكي يناقشا مسألة طلاقهما؟

أحست سوريل بعقدة ضخمة في معدتها. إنها في الواقع تشعر بعدم الارتياح منذ أيام. اشتدت قبضة أناملها على ملابسها، فشعرت بها باردة كما لو أنها موضوعة في الثلاجة.

فكرة رؤية ريس مجدداً ملأت سوريل بجزء واحد من الأمل وثلاثة أجزاء من الأسى. لطالما ظنّت أن حبهما قادر على الصمود مهما اشتدت المخاطر التي تهدد بإفقاده توازنه، إلا أن الأشهر الثلاثة الأخيرة غيرت ذاك الاعتقاد إلى حد بعيد.

تصرف ريس كشخص غريب بارد خال من المشاعر ليلة قررت سوريل أخيراً أن تهجره. بدا أشبه بالقصر المنيع الذي يصعب

www.elromancia.com

اختراقه، لطالما كان عالقاً في دوّامة عمله، حتى إنه لم يلاحظ أن سوريل لديها حاجات يجدر به أن يلبيها. لطالما اعتقد زوجها أنها قليلة التحمل وأنها تتعمّد اختلاق الخلافات، في حين أنه لا داعي لأي خلافات أصلاً.

في اليوم التالي، وبعد أسوأ جدال جرى بينهما خلال زواجهما، غادر ريس المنزل في ساعات الصباح الأولى ليلحق بالقطار المؤدي إلى يورك، لكي يناقش موضوع حفلة موسيقية يخطط لها، ولم تره سوريل ذلك الصباح على الإطلاق. يومها فكرت أنه لو كان يهتم بما فيه الكفاية حتى يصلح ما انكسر بينهما، لما غادر باكراً حتى يلحق بالقطار. كان ليؤجل اجتماع العمل الملحّ مهما كان هاماً، ويبقى في المنزل ليهتم بموضوع زواجه الأكثر أهمية. بما أن ريس لم يفعل شيئاً مماثلاً لم يبق أمامها أي خيار سوى أن توضب أغراضها وترحل.

غادرت سوريل المنزل الذي يتميز بتصميم معماري متقن، وهو المنزل الذي كانا يسكنانه سوياً في بيمليكو، وهي تشعر بالوحدة وبإثباط العزيمة. انتقلت لتقيم مؤقتاً مع شقيقتها ميلودي وعائلتها في سوفولك. كان عليها أن تبتعد من هنا في أسرع وقت ممكن.

كل ما في هذا المنزل يسبب لها الإحباط... الخلافات والمجادلات الكلامية، الألم، الاتهامات، والشكوك المريعة التي ساورتها حول هوية الأشخاص الذين يقضي وقته معهم عندما يكون مسافراً. بالإضافة إلى ذلك انزعجت سوريل بسبب تلك الأوقات التي كانا يمضيانها بعيداً عن بعضهما، حيث كان الوقت يسير ببطء شديد قاتل، إلى درجة تجعلها ترغب بأن تصرخ في داخلها بسبب الوحدة. إن أي نوع من النشاطات أو اللقاءات الاجتماعية مع الأصدقاء لم يعوض عن الهوة العميقة المؤلمة الموجودة في أعماق روحها. لا يمكن لروحها أن تكتمل مجدداً إلا بصداقة زوجها وحبه لها.

علمت سوريل منذ أن تزوجت ريس أن عمله يتضمن العديد من

الأسفار، فهو مدير فرقة موسيقية ذات شهرة عالمية. وبما أنها تعمل عارضة أزياء فهي معتادة أيضاً على السفر والتنقل في أرجاء العالم، لكنها أحست أنها لم تعد تتطلع قدماً نحو الصعود على متن طائرة أخرى أو على متن يخت خاص آخر. إنها ببساطة تتوق لأن تستقر في منزلها الخاص... في دارها الحقيقية مع ريس. لم تكن سوريل قادرة على تفسير ذلك. كل ما هنالك أنها أحست فجأة بحاجة إلى ترسيخ جذورها.

بدأت المشاحنات بينها وبين زوجها لأن ريس لم يظهر أية إشارة تدل على رغبته بذلك الاستقرار على الإطلاق. في الواقع، وعلى العكس من ذلك، راحت التزامات عمله تتزايد وتتسارع. بالكاد كانت سوريل تراه من أسبوع إلى آخر، إلا إذا سافرت معه بالطبع. ومع مرور الوقت لم تعد ترغب بأن تفعل ذلك.

- سوف نتناول القهوة خلال وقت قصير، سيدة فيليرز. نحن فقط ننتظر وصول السيد فيليرز. هل أنت مرتاحة؟ تبدين مقشعرّة قليلاً... إذا كنت لا تمانعين بأن أقول ذلك. سوف أغلق النافذة.

ما إن نهض المحامي الذي يرتدي ملابس أنيقة عن كرسيه الموجود على رأس الطاولة الرسمية الطويلة حتى رفعت سوريل نظرها نحوه بحذر، وقالت: «لا! أرجوك لا تغلق النافذة».

شعرت سوريل أنها تواجه خطراً حقيقياً بألاّ تتمكن من التنفس لو أغلق الرجل تلك النافذة التي توفر الهواء الربيعي النقي. وكأن ذلك الهواء هو ما يساعدها في تلك اللحظة بالذات على إبقاء قلقها في مستوى يسهل التحكم به. لو أغلق المحامي تلك النافذة، فإن الغرفة الباردة المرعبة أصلاً سوف تصبح أشبه بالقبر الذي يحتجزها. كذلك فهي لن تكون قادرة على الجلوس جامدة لتواجه ريس عبر تلك الطاولة الرسمية التي تفصل بينهما، ولن تتقبّل فكرة أنه لم يعد يحبها، وأنه هو من طلب إجراء هذه المناقشة مع محاميه بخصوص الطلاق.

www.elromancia.com

بكت سوريل حتى جفت الدموع من عينيها عندما استلمت رسالة ريس في منزل شقيقتها منذ أسبوعين. في الواقع، أملت أن يكون محتوى رسالته الباردة الموجزة مختلفاً تماماً. إنها لغبائها وربما لسذاجتها، أملت أنه سيتكلم عن الغفران والتسوية... وحتى عن بداية جديدة لعلاقتهما. لكن الأمر لم يكن كذلك...

علمت سوريل لدى سماعها أصواتاً مخنوقة خلف الباب أن زوجها وصل. هيأت نفسها لرؤيته، فيما لم تقوَ على منع الارتعادة التي أصابتها. رفعت ذقنها قليلاً، وصلّت بصمت ألا يبدو عليها اضطرابها الداخلي المؤلم. لِمَ عساها تمنحه المزيد من الذخيرة كي يطلقها عليها، فيما هو للتو يمتلك الكثير ضدها؟ كان هذا الرجل يشكّل العالم بأسره بالنسبة إليها، والآن هو يظهر لها بوضوح أنه ما عاد يرغب بأن يكون جزءاً من عالمها على الإطلاق.

في تلك اللحظة بالذات دخل ريس من الباب، وعلى الفور بحثت عنها نظراته. إلا أنه ما لبث أن تجاهلها ببرودة واضحة، كما لو أنها شخص غريب لا يهمه. عيناه الخضراوان المذهلتان اللتان اعتادتا أن تتأملا وجهها في ما مضى بافتتان بدتا الآن عدائيتين كما لو أنها عدوه اللدود... كما لو أن الحب لم يقبع مطلقاً في أعماقهما الزمردية...

لم تعلم سوريل كيف بقيت في كرسيها ولم تهرب بسرعة خارج الباب بسبب الشعور بالأسى الذي تملكها.

- أهلاً، سيد فيليرز. هلاّ جلست من فضلك؟ سوف أطلب من أحدهم أن يحضر القهوة لنا جميعاً. أستأذنك...

اختفى إدوارد كارمايكل من الغرفة، وهو المحامي الأنيق البارع الخاص بريس. لم تعرف سوريل ما الذي يجدر بها أن تقوله، ففي النهاية صارت هذه الأزمة خارج سيطرتها.

- هل قدت سيارتك إلى لندن؟

سألها ريس ذلك بنبرته العائدة لبلاد ما وراء المحيط الأطلسي،

تلك النبرة الرسمية المشابهة تماماً للغرفة المتغطرسة التي تحيط بهما.

- لا، في الواقع لم أفعل. استقليت القطار. كنت أنوي أن أقود السيارة، لكنني قررت ألاّ أفعل إذ ربما علقت في زحمة السير.

تلاشت كلمات سوريل بعد أن لاحظت أنها على وشك أن تشرح له أنها عانت من اضطراب في المعدة خلال الأيام القليلة الماضية، وأنها خشيت أن تصاب بدوار وغثيان في السيارة. أعادت النظر بخصوص الكشف عن تفصيل حميم كهذا لزوجها، لأنها خشيت أن تجرحها قلّة اهتمامه.

- على أي حال...

اهتزت كتفاها تحت سترتها الرسمية ذات القماش الناعم والكنزة الصوفية. شعرت بالتوتر الشديد في أعصابها، فضغط الأشهر الثلاثة الأخيرة، بالإضافة إلى خوفها مما قد يحمله لها المستقبل، يثقلان كاهلها بلا شك.

- على الأقل تمكنت من متابعة قراءة كتابي في القطار.

فك ريس أزرار سترة بذلته، وجلس بعد أن جذب الكرسي ذا المسند الخلفي المرتفع المقابل لسوريل.

- آمل أن نتمكن من إنهاء هذا الأمر في أسرع ما يمكن وبأقل ألم ممكن.

أبدى ريس ملاحظته تلك وهو يمد يده ليسكب القليل من الماء من الزجاجة الموضوعة أمامه داخل كوب من الكريستال.

فكرت سوريل بيأس، أهو فعلاً يأمل بذلك؟ من الواضح إذاً أن ريس يملك قلباً من حجر. راقبت بعينيها الزرقاوين المتألمتين وجهه المتغطرس الوسيم ذا الفكين المحددين، كما راقبت الشق الصغير في ذقنه الذي يدل على العناد. لطالما وجدت ملامحه تلك جذابة جداً إلى حد يفقدها دفاعاتها ومقاومتها له. لطالما سحرتها عيناه الخضراوان الحادتا النظرات، اللتان تنسجمان مع شعره الأشقر

الغامق. من الصعب عليها أن تصدق أنه الرجل نفسه الذي قال لها يوماً إنها امرأة أحلامه. الآن هو ينظر إليها كما لو أنه بالكاد يحتمل وجوده معها في الغرفة نفسها!

- أنا... أنا لم أتوقع أن أستلم رسالة كهذه منك.

أجبرت سوريل نفسها على قول ذلك. إنها بحاجة إلى أن تتواصل معه على صعيد شخصي، حتى لو كان تواصلاً بائساً نوعاً ما. في تلك اللحظة بالذات عاد المحامي، وتبعته امرأة تحمل صينية القهوة، فوضعتها بهدوء بين ريس وسوريل، ثم غادرت بصمت. وعاد إدوارد كارمايكل إلى مقعده.

بدا لريس كما لو أن قلبه ومعدته يعتصران في وقت واحد لدى رؤيته لزوجته الجميلة الشابة الساحرة. إنه يدرك تماماً أنه أمضى فترة كبيرة من زواجهما الذي دام سنتين ونصف بعيداً عنها، فقد اعتاد أن يسافر في رحلات عمل، لكن الأحد عشر أسبوعاً الماضية بدت كما لو أنها الأبد. عندما كان يسافر في السابق، كان يعلم دوماً أن سوريل بانتظاره في المنزل حتى يعود إليها. أما الآن، فإن منزله الحديث الطراز الذي بناه لأجلها فقط بدا أشبه بسجن من الزجاج والحديد الصلب من دون وجودها فيه. إنه سجن فخم من الزجاج والحديد، مليء بالمفروشات الثمينة والتحف الفنية، إلا أن الغرف تخلو من أي شخص ليقدّرها أو ليستخدمها. بدا لريس أن تواجده في المنزل من دونها هو بمثابة تذكير مؤلم له بما خسره.

بالرغم من ذلك لم يعد قادراً على التحديق بسوريل الشقراء ذات الجمال الملائكي بأي ابتهاج أو سرور حقيقي. هذه المرأة هجرته وتركته وحيداً، وهي بذلك عبرت عن مقتها له بمنتهى الوضوح. حتى إنها لم تتحلّ باللباقة الكافية كي تترك له رسالة وداع. خزانة ملابسها المفرغة جزئياً، بالإضافة إلى حقيبتي السفر الخاصتين بها اللتين اختفتا معها، أعلمته أن سوريل رحلت. لم يتلقّ منها ريس خلال ثلاثة أشهر

طويلة رسالة ما أو اتصالاً هاتفياً يطمئنه عن أحوالها، أو عما تنوي أن تفعله حيال علاقتهما المتعثرة.

لطالما عذبته فكرة موجعة مفادها أن سوريل لربما تعرفت إلى رجل غيره، وأنها تقيم علاقة غرامية معه، لذا هي ليست قادرة على الاعتراف له بالسبب الحقيقي الذي دفعها إلى هجره. اثناء فترة زواجهما عرف ريس أن سوريل على علاقة وثيقة جداً مع شقيقتها ميلودي، لذا لم يكن لديه أي شك بأنها ذهبت إليها. أجبر نفسه على تقبّل غيابها بعد أن اتصل هاتفياً بشقيقتها وتحقق من وجودها هناك، وطمأنته ميلودي بأن سوريل قطعاً لا تقابل رجلاً غيره.

قرّر ريس بألا ينتظر أكثر حتى تتخذ سوريل القرار. شعر بالسخط الشديد لأنها منعته من الحصول على أية فرصة لكي يعبر عن مشاعره تجاه مغادرتها، لذلك قرّر أن طلاقاً سريعاً وسهلاً هو على الأرجح الحل الأفضل على الإطلاق. لِمَ تراهما ينتظران على أي حال في حين أن جل ما قاما بفعله طيلة أشهر حتى الآن هو المجادلة والشجار؟

في الواقع سئم ريس من ذلك. هو لم يتصور ولو بعد مليون سنة بأن الملاك الهادئ... المرأة اللطيفة ذات الطباع السوية التي تزوجها سوف تجعل حياته صعبة جداً. الوضع المتوتر بينهما كاد يؤثر على عمله أيضاً، ما اضطره إلى إبعاد تفكيره بالقوة عن تلك المشكلة لأن وظيفته تتطلب كل التركيز الذي يستطيع استجماعه. لكن ريس وجد صعوبة بالغة في فصل نفسه عاطفياً والتركيز على الأعمال، في حين أن غالبية أفكاره بدت قلقة على سوريل. أما رؤيتها الآن بعد قرابة الثلاثة أشهر، فلم تسهّل الأمور عليه...

- هلاّ بدأنا؟

منح إدوارد كارمايكل ابتسامته المهنية لكل منهما، ثم وضع بعض الأوراق أمامه، معلناً بوضوح أن اهتمامهما يجب أن يرتكز عليه لا

على بعضهما البعض.

لاحظت سوريل أن يدي الرجل صغيرتان جداً، أما خاتم الزفاف الذهبي السميك فبدا غارقاً في إحدى أنامله القصيرة البدينة. فجأة تمنّت لو أنها لم تنزع من إصبعها تلك الحلقة الصغيرة المصنوعة من البلاتين هذا الصباح بالذات قبل أن توصلها ميلودي إلى محطة القطارات. فعلت ذلك لأن فكرة جنونية انتابتها فجأة، بأن ريس قد يطلب استعادة الخاتم. أما الآن فهي تظن أن ريس سوف يفسر عدم وضعها لخاتم الزواج على أنه دليل على موافقتها على اقتراحه بأن ينهيا زواجهما.

إنها لا تريد هذا الطلاق. هي لم تشأ أبداً أن تصل الأمور بينها وبين ريس إلى هذا الحد، أو إلى هذا السوء. فقط لو أنها لانت وتكلمت معه عندما اتصل هاتفياً بشقيقتها ميلودي، أو على الأقل لو أنها اتصلت به بنفسها على الفور بعد مغادرتها لكي تقترح عليه بأن يلتقيا حتى يتكلما عن مشاكلهما كأي شخصين راشدين متحضرين، لعلهما كانا سيحظيان بفرصة لإصلاح ما تخرّب بينهما. عوضاً عن ذلك بقيت صامتة بعناد، رافضة التواصل معه بسبب أملها الغبي بأن ريس سوف يتصل بها أولاً حتى يعتذر منها.

قال لها ريس بعض الأمور المريعة في تلك الليلة الشنيعة، حين تجادلا للمرة الأخيرة. بدا وقع كلماته عليها كالسيوف التي تطعن قلبها بضربات قوية فتقطعه إرباً. وتاقت لأن يقوم ريس بالخطوة الأولى للمصالحة. رفعت نظراتها لتدرس ملامح وجهه في الناحية المقابلة للطاولة، فلاحظت بألم شديد أنه لا يبدو أكثر وداً مما كان عليه عندما دخل عبر الباب. من الواضح أنه يتحرق شوقاً كي يقطع الروابط التي تقيدهما سوياً. سمعت سوريل زوجها يجيب على اقتراح المحامي، إذ قال: «إذا كنت لا تمانع، فأنا مضطر لأن ألحق بالقطار إلى إدنبرغ خلال ساعتين. لذا أقدر كثيراً لو استطعنا أن نحرك الأمور بسرعة».

في تلك اللحظة اشتمت سوريل رائحة القهوة بالفعل، وتلك الرائحة القوية جعلت معدتها تنقلب، مهددة بأن تجعلها تتقيأ فطورها الذي تناولته من قبل. قبل أن يحظى أي من الرجلين بفرصة للتصرف، قفزت واقفة على قدميها، وانطلقت مسرعة خارج الباب. نادت المرأة الأنيقة اللباس الجالسة إلى مكتب الاستقبال وسألتها عن اتجاه أقرب مرحاض مخصص للنساء.

انطلقت باتجاه المكان المقصود الذي تبحث عنه بسرعة. بالكاد وصلت إلى أقرب مرحاض، حتى أحست بالغثيان المريع يقلب أحشاءها.

مرّت بضع دقائق طويلة قبل أن تهدأ أحشاؤها وتسمح لها بأن تخاطر بالعودة إلى مكتب المحامي. عندما عادت سوريل بدا وجهها أبيض كالطبشور، أما أطرافها فمرتخية تماماً كما لو أنها حزم رقيقة من الذرة.

نهض ريس على قدميه ما إن دخلت من الباب، وقد ظهر القلق والعبوس على ملامح وجهه.

- هل أنت على ما يرام؟ ما الذي حصل بحق الجحيم؟

اتجه ريس بشكل تلقائي نحوها، فوضع يده خلف خصرها، وقادها لتعود إلى الكرسي الذي أخلته بشكل مفاجئ. علمت سوريل أنها لو تجرأت على الرد في تلك اللحظة، فإن عينيها ستمتلآن بالدموع الغزيرة، وسوف تحرج نفسها أمام زوجها ومحاميه للمرة الثانية. جل ما تاقت إليه في الواقع، وجل ما أرادته حقاً، هو أن يضع ريس ذراعيه حولها ويقول لها إنه سوف يأخذها إلى المنزل.

ذكرت نفسها بألم أنها هي وريس ما عادا يتشاركان المنزل نفسه، وعلى الأرجح أنهما لن يتشاركا به مجدداً على الإطلاق.

- إنها... بكل بساطة... رائحة القهوة، هذا كل شيء. لم يحصل لي هذا أبداً من قبل. أنا آسفة.

لم تلاحظ سوريل أن اللون اختفى من وجه ريس أيضاً فصار أبيض بدوره. عاد ريس إلى كرسيه، لكنه لم يجلس بل بقي واقفاً بقوامه الرائع. حدقت سوريل إلى الأعلى، فنظرت نحوه بذهول حقيقي.

- ما الخطب؟

سألها ريس فيما التمعت عيناه الزمرديتان بقساوة: «هل خطر لك على الإطلاق أنك قد تكونين حاملاً، سوريل؟».

صدمتها الحقيقة كما لو أنها صاعقة تنطلق من السماء نحوها مباشرة. هذا هو إذاً سبب الغثيان الذي تشعر به في معدتها، بالإضافة إلى الإحساس بالوخز الحاد في نهديها، فضلاً عن حاجتها لأن تحظى بفتح جميع النوافذ في أية غرفة وجدت فيها. لم تختبر سوريل عوارض الحمل من قبل، لذا عزت ما يصيبها إلى حقيقة أنها تشعر بالأسى حيال علاقتها الزوجية المحكوم عليها بالهلاك. إنها سقيمة القلب ويائسة، لأنها على الرغم من كل شيء أحبت ريس أكثر من الحياة نفسها... بالرغم من الخلافات والتوتر، وبالرغم من التعاسة العميقة التي كانت تشعر بها أثناء فترات غيابه الطويلة عن المنزل. أما مواعيد دورتها الشهرية فلا يعتمد عليها تماماً في جميع الأحوال. لطالما مر عليها شهر أو اثنان من دون أن تحظى بها، لذا لم تفكر يوماً بتوخي الحذر في علاقتهما الزوجية الحميمة. في الليلة التي سبقت خلافهما الأخير أمضت هي وريس في حضني بعضهما فترة طويلة خلال الليل. لم يفكرا حينها باستخدام الوقاية ضد الحمل، لأن ريس ظل بعيداً عنها لما يزيد عن الشهر، لذا بدا كأن حاجتهما لبعضهما وصلت إلى حافة اليأس بالرغم من مشاكلهما الزوجية والصعوبات التي تواجههما.

- أنا... أنا لست كذلك! لا يمكنني أن أكون كذلك!

شعرت سوريل أنها عديمة الحيلة. نظرت نحو إدوارد كارمايكل

الذي شبك أنامله القصيرة سوياً، وراح يعبس بعمق.

ارتفع صوت سوريل وهي تقول: «أنا فقط أعاني من اضطراب خفيف في المعدة. هذا كل شيء».

- هل استشرت الطبيب؟

بدا صوت ريس بعيداً، فيما بقيت نظراته الخارقة مرتكزة على وجهها المصعوق أثناء تكلمه.

- لا. لِمَ يجدر بي أن أفعل ذلك؟ كنت... كنت مضطربة بخصوص هذا كله... بخصوصنا نحن. لم أظن أن السبب أي شيء آخر.

بدت سوريل مصعوقة، إذ بدأ احتمال حملها يخترق دماغها.

- نظراً للظروف الراهنة، يجدر بي أن أدعكما أنتما الاثنين لتتكلما، سيد فيليرز.

نهض الرجل على قدميه، ثم نقل نظراته بينهما باستنكار.

- خذا قدر ما شئتما من الوقت. فقط أخبرا موظفة الاستقبال حين تصبحان جاهزين لمقابلتي مجدداً.

عندما انغلق الباب بإحكام خلف المحامي، لم يعلم ريس تماماً ما الذي يجدر به أن يفعله بوجود المشاعر القوية التي أخذت تجوب عروقه بجموح.

سوريل حامل! سوريل سوف تنجب طفلاً! إنه بحاجة إلى بعض الوقت حتى يستوعب هذه الفكرة. أحس ريس كما لو أن قلبه يطوف في رحلة على متن قارب تائه، وهو حتماً يتجه نحو مياه أكثر خطورة... اندفعت فكرة جديدة داخل ذهنه المضطرب أصلاً.

- هل أنا الأب؟

سألها ريس بنبرة ملؤها الغضب والإدانة نوعاً ما.

لم تتذبذب نظرات سوريل ولو للحظة عن وجه زوجها الوسيم الغاضب، لكن الألم الذي أحدثته ردة فعله الفظة المؤقتة امتصت

الأنفاس من رئتيها.

- لا يمكنني أن أصدق أنك تطرح علي سؤالاً مريعاً كهذا. بالطبع هو طفلك! هل تشير إلى أنني أقيم علاقة مع رجل آخر؟ ما الذي تحاول أن تفعله؟ هل تحاول أن تجعل من زواجنا بأسره مجرد مهزلة؟

- الآن بالذات لست أدري ما أفكر به. ظننت أنني أعرفك حق المعرفة يا سوريل، لكنني كنت مخطئاً. ذلك كله تغير عندما هجرتني منذ ثلاثة أشهر.

هزّت سوريل رأسها ببطء من جانب إلى آخر، فيما صدمتها المرارة المرتبطة بنبرته الاتهامية.

قالت: «ألا تظن أن لذلك أية علاقة بالأسلوب الأناني والعنيد الذي كنت تتبعه؟ أنت تفضّل أن تصدق أنني هجرتك لأنني أقابل رجلاً غيرك، كي لا تعترف ولو للحظة واحدة بأن اللوم يقع عليك أنت. هجرتك يا ريس، لأنني سئمت من الشعور بأنني آتي في المرتبة الثانية من سلم أولوياتك! إن إنجاح علاقة ما يتطلب شخصين اثنين. حسبما رأيت أنا، فإن جل ما كان يهمك أن تفعله على الإطلاق هو ما تريده أنت، أما حاجاتي ورغباتي أنا فيمكنها الانتظار!».

- تلك كذبة لعينة، وأنت تعلمين هذا!

مرر ريس أنامله بخشونة من خلال شعره، ثم حملق بسوريل وقال: «ما الذي تتذمرين بشأنه بحق الجحيم؟ من يسمعك قد يظنك واجهتِ ظروفاً صعبة! نحن نعيش في أحضان الرفاهية، سوريل. لديك فرصة للسفر في أرجاء العالم بشكل دائم. أنا لا أطلب منك البقاء في المنزل أو العيش في الحقارة، فيما أحاول أن أكسب لقمة العيش. جل ما طلبته منك هو أن تسافري معي أحياناً لكي أتمكن من تمضية الوقت معك. هل هذا الطلب ملعون وغير منطقي؟».

- وماذا بشأن بقائك أنت في منزلنا أحياناً لقضاء الوقت معي؟ بسفرك الدائم لا يمكنك أن تبني منزلاً لائقاً. أخبرتك أنني بحاجة إلى

ذلك. أنا بحاجة إلى ترسيخ جذوري... لا إلى العيش فقط على هامش الحياة من دون جدوى!

- عرفت ما هي وظيفتي عندما التقينا، وظننت أنك تعتبرينها عملاً متألقاً ومشوقاً حينها. عرفت أيضاً أنني مضطر إلى قضاء ساعات طويلة في العمل، فمهنتي متطلبة ويجدر بي أن أضحي من أجلها، وأنت تقبلتها... أو على الأقل بدوت كذلك. أما في ما يتعلق بمهنتك أنت، فأنت بنفسك قلتِ لي إنك لا تحبينها فعلاً، وأنا لا ألومك. لابد أنه طرأ لك في وقت ما أنني لست من ذاك الصنف من الرجال الذين يبقون في المنزل لكي يلعبوا معك دور العائلة السعيدة، سوريل. لذا لا تتصرفي كما لو كنت الطرف البريء المجروح الذي لم يكن يعرف النتيجة مسبقاً!

لم يتغير أي شيء! مضت ثلاثة أشهر على افتراقهما، ومن الواضح أن ريس لم يطور أية نية لمناقشة ما تريده سوريل. لهذا السبب وجد أن الحل الوحيد هو عبر انجاز معاملات الطلاق. إنه على حق، وهي على خطأ!

للحظة نسيت سوريل الأزمة الجديدة التي تواجهها الآن، أي احتمال أن تكون حاملاً بطفلهما. فكرت على الفور أن لا شيء يسير على النحو الذي أملت به. عندما سمحت لنفسها أن تحلم بإنجاب الأطفال، لطالما حلمت أن يلقى خبر حملها السرور من قبل زوجها.

أما وقد واجهتها حقيقة واقعهما المرير، فلا يمكنها أن تكون أبعد عن هذا الأمل مما هي عليه الآن. شعرت سوريل بقلبها ينفطر على طفلها. أحست أن حلقها يهدد بأن ينغلق من شدة الألم، أما عيناها الزرقاوان الرقيقتان فلم تقويا على إخفاء شعورها بالأذى والكرب.

- ماذا بشأن الطفل؟

وضع ريس إحدى يديه داخل جيب سرواله، ومشى بخطوات واسعة متفكراً. توقف للحظة كما لو أنه بحاجة إلى تصفية ذهنه قبل أن

يستدير لمواجهتها. عندما استدار نحوها مجدداً بدا كما لو أنه توصل إلى استنتاج تطلّب منه الكثير من الصرامة. أخبرها بصوت ثابت العزم: «وجود الطفل يغير كل شيء».

٢- لن ترحلي!

- ما الذي تقصده؟

بدا صوت سوريل مشدوداً، أما يدها فاتجهت بشكل لا إرادي نحو معدتها التي ما تزال مسطحة تحت السروال القطني البني الذي ارتدته مع كنزتها وسترتها.

- أعني أن فكرة الطلاق ألغيت.

- هل غيرت رأيك بسبب الطفل؟

- ماذا توقعت إذاً؟ بغض النظر عن مشاعري نحوك سوريل، لا نية لدي على الإطلاق بأن أرحل وأدير ظهري إلى الطفل. هل تخيلتِ ولو للحظة واحدة أنني سوف أستمر في طلب الطلاق منك في ظل الظروف الراهنة؟

كرهت سوريل برودته... كرهتها وخشيت منها. أي نوع من المنازل سيحظى به طفلها الغالي إذا لم يكن بينهما أي انسجام؟ أي دفء سيحصل عليه إن كان والده ما عاد يحب والدته، وهو يشعر بالمقت تجاهها؟

نهضت على قدميها فأحست أن طرفيها السفليين ثقيلين. مررت يدها المرتعشة فوق شعرها الأشقر الناعم المتألق المنسدل، فيما تمنّت لو أنها ليست حساسة جداً وخائفة جداً. بالرغم من ذلك أحست تحت خوفها وحساسيتها بقوة جديدة هادفة تطوف في كيانها. ريس لن يحصل على كل شيء بالأسلوب الذي يبتغيه. سوف تقاوم

www.elromancia.com

لأجل سعادة ابنها وسعادتها ما دامت حية ترزق، إلى أن تتمكن من إصلاح الأمور بينهما.

سمعت نفسها تصرّح بوضوح قائلة: «القرار لا يعود إليك وحدك ريس. إن قررتُ أنا أنني لا أرغب في البقاء متزوجة، فلا يمكن لأي شيء تقوله أو تفعله أن يغير رأيي».

- إذا لم ترغبي في البقاء متزوجة مني يا سوريل، لا مجال على الإطلاق أن تبقيني خارج الصورة، وأن تحصلي على حضانة طفلنا. سوف أجرجرك إلى كل محكمة موجودة على الأرض لو اضطررت إلى ذلك... هل وصلتك رسالتي؟

- أهذا نوع من التهديد؟

لم تشعر سوريل أبداً من قبل أن صدرها مشدود بالهلع والخشية كما هو الآن. حدقت بريس بحذر وعدم تصديق، إذ بالكاد يمكنها القول إنه الرجل نفسه الذي أحبته.

- أتقول لي إنك في الواقع قد توصلني إلى المحكمة من أجل الحصول على حضانة طفلنا؟

- ما الذي تظنينه؟ هل صدمتك كما لو أنني مجرد عابر سبيل لا مبالٍ، سوريل؟ ظننتك تعرفينني بشكل أفضل؟ إن ثروتي تمكنني من شراء أفضل تمثيل قانوني موجود في هذا البلد، ولن أتردد في توظيفه لو قمتِ بأصغر خطوة باتجاه طلب الطلاق مني. في المقابل، أنت امرأة لا وظيفة دائمة لديها، ولا تملكين من المال إلا ما أعطيك أنا إياه. من برأيك يمتلك الموقف الأقوى؟ فكري بذلك. فيما أنت تفكرين، سوف أذهب لأخبر محاميّ أنني غيرت رأيي بشأن الطلاق. بعد ذلك سوف أقودك لنعود إلى سافولك حتى تجلبي أغراضك، ثم سأعيدك إلى المنزل.

- لكن... لِمَ تُراك تأخذني إلى المحكمة لأجل الحصول على حضانة طفلنا في حين أنك أوضحت للتو بأنك لست مهتماً بالبقاء في

المنزل لكي تلعب لعبة «العائلة السعيدة».

بدا ريس كأنه يفكر بكلمات سوريل للحظة طويلة، ثم أجابها وهو بالكاد يظهر ومضة عابرة من المشاعر: «النساء لا يتمتعن وحدهن بامتياز تغيير رأيهن، سوريل. الآن بما أنك حامل، أنا مضطر إلى مواجهة الحقائق، والحقائق تقول إنني شاركت في تكوين ذاك الطفل الموجود في أحشائك، وعلي بالتالي واجب المساعدة في تربيته. هل تظنينني سأدعك ترحلين بكل بساطة، لكي تربي الطفل بمفردك؟ هل فكرت ولو للحظة أنني سأفعل ذلك؟».

أحست سوريل أن رأسها يطوف بالتعاسة، فيما ابتلعت الألم الذي يسدّ حلقها. قالت لريس وقد أصابها كلامه في الصميم: «أنا لست بحاجة إلى المال. يمكنني أن أحصل على أعمال أكثر انتظاماً في مجال عرض الأزياء لو رغبتُ بذلك... بهذه البساطة...»

- كم من الوقت سيدوم ذلك؟ أنت حامل، أتذكرين؟

زحف اللون القرمزي نحو خديها، وقالت: «أنا لن أعود إلى سيليكو معك، ريس. أنا أرغب بالبقاء في سافولك مع ميلودي».

- لا خيار لديك، سوريل. سوف تعودين إلى المنزل برفقتي، وهذا جل ما لدي لأقوله بخصوص هذا الأمر.

- لكنك قلت إنك مضطر للّحاق بالقطار المتوجه إلى إدنبرغ! لا أظنك ستغيّر عادتك التي مارستها طيلة حياتك فتؤجل أحد اجتماعاتك الثمينة فقط لأجلي أنا؟

رماها ريس بنظرة جليدية مليئة بالازدراء من فوق كتفه، ثم أمسك الباب وفتحه بقوة قبل أن يخبرها ببرود تام: «مخططاتي سوف تنتظر حتى تعودي إلى حيث يُفترض بك أن تكوني».

- من تظن نفسك بحق السماء؟ هل تخبرني أين «يفترض بي» أن أكون؟ أنا أتخذ قراراتي الخاصة بخصوص ذلك. لمعلوماتك أنا امرأة راشدة، وأنا أرغب في البقاء مع شقيقتي في سافولك... لا معك

أنت!

قام ريس باستدارة حول نفسه في حركة تنم عن الغضب، ثم رفع أحد حاجبيه الأشقرين الغامقين بازدراء، ولوى شفتيه إلى الأعلى بتكشيرة تهكمية، وقال: «أنت زوجتي سوريل، وتنتظرين طفلي. أي قاض في العالم سوف يحكم بسرعة وبشكل صحيح أن ذلك الأمر هو لصالحك... فمكانك هو معي. انتهت المناقشة».

في تلك اللحظة خرج ريس من الغرفة وأغلق الباب بحزم خلفه، قبل أن تتفوه سوريل بأية كلمة أخرى اعتراضاً أو دفاعاً عن نفسها.

* * *

وقفت سوريل في غرفة النوم، وحدقت عبر الأبواب الزجاجية المتحركة نحو الشرفة العلوية المحاطة بقدور فخارية، تزهو بأزهار الربيع المتفتحة. لاحظت نبات اللبلاب المتسلق الذي يمتد على طول الجدران المطلية باللون الأبيض الكلسي. هناك على الشرفة وضعت طاولة من الكروم مع طقم من الكراسي المرتبة على الأرض. بدا كل شيء مرتباً بدقة، كما لو أن هذا المشهد ينتظر وصول أحد المصورين من إحدى تلك المجلات المختصة بالمنازل الحديثة الطراز، لكي يقوم بالتقاط صورة الشرفة. بدت الشرفة تماماً كما بدت ذلك الصباح عندما وضبت سوريل أغراضها ورحلت.

أما بالنسبة لنظرات سوريل فقد بدا المشهد مفتقراً إلى الروح والحياة أكثر من أي وقت آخر، بالرغم من الألوان الزهرية والصفراء والزرقاء الرائعة لتلك الأزهار. كيف تراها تنظر إلى هذا المنزل البارد كالمتحف باعتباره ديارها، في حين أن علاقتها مع زوجها تكاد تكون كعلاقة ملاكمين يتصارعان للحصول على جائزة البطولة.

- حسناً!

أجفلت سوريل لدى سماعها صوت ريس عندما دخل إلى الغرفة خلفها. علمت على الفور ما الذي يعنيه بسؤاله هذا. أراد أن يعرف

نتيجة الفحص المنزلي للحمل، فقد اشتريا العلبة من الصيدلية في طريق عودتهما من سافولك. جزء منها أراد أن يكذب عليه. أرادت أن تفعل أي شيء لكي تؤجل إعطاءه الجواب. إنها تشعر بالسخط والألم الشديدين بسبب موقفه المرير المخيف تجاهها، كما لو أنها مجرمة ما لا المرأة التي تحبه.

استدارت ببطء حول نفسها كي تواجهه، فيما شبكت ذراعيها بشكل دفاعي حول صدرها بشكل لا إرادي.

- النتيجة إيجابية.

هدأ ريس نفسه ذهنياً، فاستنشق الهواء بعمق. تطلب الأمر منه كل ذرة من العزم الحديدي المتوفر لديه، كي لا يقترب من زوجته فيغمرها بين ذراعيه ثم يحملها إلى السرير المزدوج الكبير، فيغرقها بكل ما لديه من شوق ورغبة وحاجة وحب... على الرغم من أنها ارتكبت أسوأ الأمور بحقه بهجرها له، فهذا لا يعني أن ريس لم يعد يتوق إليها بقوة. سوريل هي المرأة الوحيدة التي التقاها خلال سنواته التسع والثلاثين، وعرف لحظة رآها أنها المرأة التي يرغب بأن يتزوجها. إنها المرأة الوحيدة التي استطاع أن يتخيل نفسه وهو يمضي بقية حياته معها.

لم يكن من ضمن مخططاته المستقبلية القريبة أن يصبح والداً، لكنه سوف يقف إلى جانب زوجته وابنه، ويقدم لهما كل ما يحتاجانه، كما يملي عليه ضميره. إن أي مقدار من الاعتراض أو المقاومة من قبل سوريل لن يمنعه من تحمل مسؤولياته.

بالرغم من ذلك، لم يجد ريس أية متعة في التفكير بما قد يخبئه له المستقبل. كان يجدر بهما أن يستمتعا بإكمال السنتين والنصف من الزواج السعيد، وأن ينظرا قدماً نحو المزيد من السعادة والهناء، لكن عوضاً عن ذلك استجد بينهما موقف لم يسهم إلاّ في جعل علاقة ريس مع زوجته أكثر هشاشة واهتزازاً من أي وقت آخر، وهو ليس على

وشك أن يغفر لها بسهولة مسألة هجرها له.

لم يعرف هيجان ريس حدوداً عندما غادرت سوريل. خمّن على الفور تقريباً أنها ذهبت إلى منزل شقيقتها، وعندما اتصل بمنزل ميلودي جعلها تقسم له إنها سوف تتصل به لو واجهت سوريل أية مصاعب أو حاجات من أي نوع كان.

لكن ذلك لم يمنعه من الشعور بالدمار لأنها هجرته من دون أن تمنحه أية فرصة للتعويض. لذا، حتى لو وجدت سوريل نفسها حاملاً بطفلهما، فإن مقت ريس لها لم يتناقص ولو بمقدار ذرة.

انتظر ريس وقتاً طويلاً جداً قبل أن يقع في الحب، فهو لم يكن على عجلة من أمره. هنالك أمور في الحياة تستحق الانتظار حتماً، وسوريل كلايبورن هي أحد تلك الأمور التي تستحق الانتظار. حصل ذلك منذ ثلاث سنوات عندما رأى سوريل تدخل عبر الباب إلى حفلة تتلو العرض في أحد مسارح لندن الشهيرة. بالرغم من أنها كانت تتأبط ذراع رجل آخر، أحس ريس حينها برغبة في سحق ذاك الرجل إلى درجة أن ذلك كاد يسقطه عن قدميه.

بدت سوريل جميلة تخطف الأنفاس، وهي ترتدي قميصاً زهرية شفافة مع تنورة. أما الشيء الذي أسر انتباهه واستولى عليه تماماً تلك الليلة فهو وجهها... بحق الله! إنه وجهها الجميل الذي يخطف الأنفاس. فكر ريس يومها أن الفنانين وشركات إنتاج مواد التبرج على حد سواء يحتشدون بلا شك أمام باب سوريل كي يقنعوها بأن تعمل لصالحهم نظراً لجمال وجهها الأخاذ.

والآن... بكل بساطة عليه أن يتعلم التعايش مع حقيقة أن جميع أحلامه وآماله في ما يخص سوريل تحولت إلى رماد. سوريل سوف تبقى زوجته. أما فيما يخص الأبوة، فلا شك أنهما سيبذلان أقصى جهدهما للنجاح في تلك المهمة على أكمل وجه، حتى لو لم تعد علاقتهما أبداً إلى ما كانت عليه سابقاً.

مرر ريس يده فوق جبينه، وتنهد بارتياح لأن القرار الصائب اتخذ على الأقل، ولأن مسألة الطلاق لم تعد واردة الآن. حتى لو لم يكن هذا القرار مناسباً لزوجته المعاندة.

- يجدر بك أن تقومي بفحص طبي لدى الطبيب النسائي... ذلك هو الأمر التالي. دعي الأمر لي... سأهتم به.

أحست سوريل أن عينيها تخزانها بسبب عزمها على عدم الاستسلام للبكاء. كبتت بوحشية الرغبة التي في داخلها لكي تتوسل ريس بأن يحتضنها، وبأن يغفر لها هجرانها له من دون أن تُعلمه أنها بخير. ودّت لو أن بإمكانها أن تبتلع عزة نفسها وتقوم على الأقل بخطوة ما نحو التسوية حتى لو لم يفعل ريس ذلك. إنهما سوف ينجبان طفلاً! إن كان هنالك من سبب يدفعهما إلى استعادة بعض الحب إلى حياتهما، فلا شك أن هذا الأمر هو سبب وجيه لذلك.

لكن ما إن رأت الجفاء في نظرات ريس وقد أخذ يزداد اتساعاً وعمقاً، حتى حبست الكلمات التي تاقت إلى قولها، فبقيت مأسورة تعيسة داخل قلبها. قومت كتفيها، ثم قالت: «يمكنني أن أفعل ذلك بنفسي. أعلم أنك تشك بقدرتي لأن أعمل من دون توجيهاتك، لكنني بغض النظر عن ظنك أنني امرأة عديمة التفكير أستطيع إجراء اتصال هاتفي لكي أحدد موعداً لدى الطبيب!».

- دعينا لا نحول هذا الحديث إلى مشادة كلامية أخرى، سوريل. لا يهم حقاً من يحدد الموعد اللعين مع الطبيب، المهم هو إنجاز الأمر. كما أنني لا أخطط على الإطلاق للتحكم بك. الأمر المنطقي والصحيح الذي يجب عليك أن تفعليه هو أن تخضعي لفحص طبي من قبل الطبيب. يجدر بك ألا تقومي بمخاطرة غير ضرورية عندما يتعلق الأمر بمسألة هامة كالحمل. أنا فقط أريد أن أحرص على أنك والطفل ستحظيان بالاهتمام الصحيح الذي تستحقانه.

هز ريس كتفيه العريضتين اللتين قد ترغب أي امرأة بأن تحظى

بفرصة البكاء عليهما. بدا كما لو أنه عوّد نفسه على ألاّ يتوقع أبداً أي نوع من الرقة أو النعومة من قبل سوريل مجدداً. الأسى الذي تولّد في قلب زوجته بدا كبيراً لا يقاس.

بدت سوريل غير قادرة على كبت سخطها بالرغم من حزنها، فقالت: «ما الذي تشير إليه؟ هل تخشى أن أفعل شيئاً يسبب الأذى لي أو للطفل فقط لكي أنتقم منك بشكل ما؟».

- توقفي عن الهلوسة! أنا لم أقل هذا على الإطلاق. أذكرك بكل بساطة أننا في هذا الأمر سوياً، وأنا لا أنوي أن أقف جانباً وأراقبك وأنت تجاهدين بمفردك.

التوى فم سوريل بعدم سرور، فقالت: «آه؟ منذ متى تهتم كي لا أقوم بالأشياء بمفردي؟ دعنا نوضح أمراً واحداً منذ البداية، ريس. ليست لدي أية أوهام بخصوص اضطراري لأن أتكيف مع هذا الحمل بمفردي. أنت سوف تكون بعيداً في أسفارك كما هو الحال على الدوام. سوف أضطر بكل بساطة إلى التعامل مع الأمر كما أفعل عادة. لا تدّعي أن الأمور سوف تكون مختلفة تماماً، لأنك اكتشفت للتو أنك ستصبح والداً!».

هبطت كتفا سوريل قليلاً فبدا كأنما ظلاً من الألم يعبر فوق عينيها، فيما تابعت: «ولا شك لدي أن لاشيء سيتغير بالنسبة إليك أيضاً. باستثناء أننا هذه المرة سنكون نحن الاثنان بانتظارك في المنزل لكي تتفضل وتتذكر بأننا موجودان».

- أنت الآن تتصرفين بسخافة. حسناً! إن أياً منا لم يخطط فعلاً لوجود هذا الطفل، لكن بعدما اتضح الآن أننا سوف نصبح أبوين، فأنا أنوي تماماً أن أكون أفضل والد ممكن لإبني أو لابنتي. لا يمكنني أن أصدق أنكِ تظنين عكس ذلك... لكن... من الواضح أنني أعطيك حظوة أكثر مما تستحقين.

لدى ريس أسلوب مميز في النظر إلى سوريل بحيث يمكنه أن

يجعلها تشعر أحياناً بأنها صغيرة جداً. كل مرة يستخدم فيها ريس هذا الأسلوب تشعر سوريل كأنها تنسحق. أنزلت ذراعيها إلى جانبيها، وهي تفكر أن الموقف لا يحتمل. إن هجرها لريس لم يفعل شيئاً سوى زيادة الأمور سوءاً. من الواضح أن زوجها يكنّ لها كرهاً هائلاً لأنها تجرأت على هجره، أما الآن، بما أنها تنتظر طفله، فهو يستغل الفرصة كي يجعلها تدفع ثمن فعلتها تلك.

- أريدك أن تعلم أنني عدت إلى هنا وأنا معارضة بالكامل. أنا هنا لأنني لا أستطيع المخاطرة بأن تتصرف معي بشكل مرير، إلى درجة تدفعك لأن تجرجرني إلى قاعة المحكمة حتى تحصل على حق حضانة ابننا. أريدك أن تعلم أيضاً أنني سوف أحارب من أجل سعادة طفلي وسعادتي، لذا لا تظن أنك ستحصل على كل شيء كما تريده أنت!

- هل انتهيت تماماً؟

رمقها ريس بنظرة ملؤها الملل والازدراء، ما يدلّ على أنه بالكاد يحتمل كلماتها اللاذعة. لكنها عادت وابتلعت ذاك التشنج المريع المؤلم الذي كاد يجعل من الصعب عليها أن تضبط مشاعرها. ردّت له التحديق متحدية.

- أنت لديك عملك... لطالما كان لديك عملك... وأنا أعرف تماماً أنه سوف يحتل المرتبة الأولى لديك دوماً. لكن لعلمك فقط، أنا لدي خيارات وفرص أخرى لكي أكسب المال إلى جانب عرض الأزياء، وسوف أستغل هذه الفرص أثناء إقامتي في هذا المنزل. أنا لا أتوقع منك أن تعيلني... أنا لم أتوقع هذا مطلقاً من قبل. أنت من اقترح علي أن أقلل من قبول عروض العمل التي قُدمت لي في عرض الأزياء، لكي أتمكن من السفر معك لأسليك، بينما تلاحق أنت مهنتك الخاصة. لذا لا تظن أنك تحمل الورقة الرابحة لمجرد كونك الشخص الذي يسدد الفواتير!

لاحظت سوريل أن المقت في عيني ريس استُبدِل على الفور بالهيجان، إذ قال: «هذا جنون! ما من داع على الإطلاق لأن تعملي. يمكنك أن تخرجي هذه الفكرة من رأسك على الفور! أنت حامل. أتذكرين؟ لابد أنك ستحتاجين إلى أكبر قدر ممكن من الراحة والاسترخاء، لذا لا تتصرفي بغباء حيال هذا الموضوع، سوريل.

بدا من الواضح أن ريس ليس في مزاج يسمح له بالتفكير في الاحتمالات التي تخفف من تلك العدائية بينهما، والتي يبدو أنها تتصاعد أكثر فأكثر. أما سوريل فبدت بدورها غير قادرة على اتباع المنطق الهادئ أو العقلانية الباردة. كيف يمكنها أن تلجأ إلى التصرف المنطقي في حين أن عواطفها تجاه ريس وطفلها تسيطر على تفكيرها؟

تابع ريس قائلاً: «إذا رغبتِ بملء وقتك يمكنك أن تستأنفي صفوف اليوغا، أو اذهبي إلى المنتجع الصحي. خذي دروساً في التطريز أو أي شيء لعين آخر ترغبين به لكي تشغلي نفسك، إذا كان هذا ما تريدينه. لكن ما من داع لأن تعملي. سوف أضاعف مصروفك، ويمكنك أن تفعلي أي شيء لعين ترغبين به. أنت تعلمين أنك لست مضطرة لأن تقدمي لي تبريراً أو تقريراً يتعلق بما تنفقينه! دعينا فقط نحاول أن نجعل الأمور محتملة قدر الإمكان، فيما نحن ننتظر ولادة الطفل. بعد ذلك...».

هز كتفيه مجدداً، وقد بدا وجهه الوسيم فجأة كدراً ضجراً، ثم قال: «...سوف نرى».

عندما استدار نحو الباب المفتوح، ازداد صدر سوريل انقباضاً، فقالت: «ما الذي تقصده بقولك «سوف نرى»؟».

طالبته سوريل بتفسير فيما أومضت عيناها الزرقاوان، لكن ريس كان قد رحل للتو، لذا فإن سؤالها الحانق لم يحصل على جواب.

* * *

لم تعترف ميلودي بالسرور الذي شعرت به في الواقع لدى سماعها

خبر حمل سوريل. صرّحت على الطرف الآخر من الهاتف، قائلة: «هذا على الأرجح آخر شيء تحتاجانه أنتما الاثنان، فيما علاقتكما تخبط بالفوضى أصلاً».

لطالما بدت ميلودي الشقيقة العملية التي يمكن الاتكال عليها. إنها امرأة تتبع قوانينها الخاصة في مجتمع قرية سافولك الصغير حيث تقيم. إنها أول من تهرع إلى تصفية مشاكل الجيران، وهي تقلّ ستة من أطفال أصدقائها يومياً بالإضافة إلى ولديها، فتوصلهم إلى المدرسة بلمح البصر. لا شيء يردعها على الإطلاق. سواء تعلق الأمر بإعداد خبزها بنفسها، أو بتغيير إطار سيارتها الرينو القديمة، فإن ميلودي بكل بساطة تقوم بالمهمة الموجودة أمامها من دون أن تثير أية جلبة. تصدت سوريل ميلودي عندما هجرت ريس، لأن شقيقتها تعلم حتماً ما يجدر بها أن تفعله، هذا بالإضافة إلى أنها أقرب صديقة إليها.

- أنا فعلاً أريد هذا الطفل، ميل!

ردّت سوريل بذلك إذ أرادت أن توضح لشقيقتها أنه بغض النظر عن وضعها هي وريس، فإن طفلهما سوف يلقى حباً جماً ورعاية كبرى.

- بالطبع أنت تريدينه، عزيزتي! لكن الواقع لا يتغير، فالتوقيت مزرٍ حقاً. ما الذي قاله ريس بخصوص هذا الموضوع بأسره؟

لم تود سوريل أن تكشف لها أنها وريس بالكاد يتكلمان مع بعضهما. إنهما أشبه بغريبين جريحين يتشاركان منزلاً كتلك المنازل التي تتصدر غلافات المجلات، وهما يخوضان علاقتهما التي تفشل بوضوح عند كل منعطف جديد. إدراك ذلك جعلها تشعر بالخجل وبالفشل في آن معاً، لاسيما أن زواج ميلودي من زوجها سيمون الذي يعمل سمساراً في البورصة ما زال ناجحاً منذ عشر سنوات.

- إنه يريد أن يقوم بالتصرف الصائب.

ردّت سوريل بذلك بهدوء وقد لاحظت فجأة انعكاس صورتها على

زجاج أبواب الفناء المؤدية إلى الشرفة. يا إلهي! إنها تبدو كالشبح.

- بالطبع هو يريد ذلك! قد يكون ريس عالقاً في عادته تلك التي تدفعه إلى ملاحقة مهنته، لكن الرجل لم يفتقر قط إلى النزاهة. هجرك له سبب له الأذى، سوريل. من الطبيعي أن يبدو غاضباً منك لبعض الوقت، لكنه سوف يغير رأيه في آخر المطاف. إنه يحبك، عزيزتي. سوف ترين!

- ليتني أتحلى بمثل ثقتك هذه!

مرّرت سوريل أناملها على سطح الخزانة الموضوعة في البهو، ثم تفحّصت أطراف أناملها من غير وعي بحثاً عن الغبار. بعدئذٍ تركت يدها تسقط على جنبها عندما لم تجد أي أثر للغبار.

- كان ريس غاضباً مني خلال العام الماضي بأسره، وأنا لا أرى أية إشارات تدل على خفوت هذا الغضب بعد. حتى الآن مع قدوم الطفل...

- حسناً! إذا زادت الأمور عن قدرتك على الاحتمال يمكنك دوماً أن تعودي إلي لتأخذي استراحة. إن دايزي وويل لا ينفكّان يسألانني: «متى سنرى الخالة سوريل مجدداً، يا أمي؟» و«لِمَ لست جميلة مثلها، ماما؟ هل كنت أنت الخروف الأسود في العائلة؟».

ضحكت سوريل بصوت مرتفع. قالت: «إنهما فعلاً يقولان أكثر الأشياء إضحاكاً، أليس كذلك؟ يجدر بك أن تقولي لهما إن الخالة سوريل قد تكون جميلة، لكن والدتهما هي أجمل النساء في سافولك بأسرها!».

- حسناً! ما دام سايمون يظن هذا، فأنا لا أتذمر. مع ذلك أنا جدية، عزيزتي. فقط اصمدي حيث أنتِ، وإذا ما صعُبت الأمور عليك، فأنت تعلمين أين أنا. ألست كذلك؟

بعد أن تكلمت سوريل مع شقيقتها، قامت بتحديد موعد لدى الطبيب، ثم اتصلت هاتفياً بوالديها في أستراليا كي تطلعهما على خبر

حملها. حاولت أن تبدو مبتهجة ومرتفعة المعنويات، فهي لم تكن قد أعطت والديها أي تلميح إلى أن زواجها يواجه المشاكل. لم تفعل ذلك حتى عندما تركت منزلها لتقيم مع ميلودي. بدا الأمر صعباً جداً، لا سيما عندما قامت والدتها بردة فعل عاطفية جداً. عندما تسنّت لها أخيراً فرصة التحدث إلى والدها تشارلز كلايبورن، أظهر هذا الأخير حماسة بالغة للمجيء إلى المملكة المتحدة خلال الصيف في إجازة صيفية طويلة ليقابل ابنتيه المحبوبتين، بالإضافة إلى أحفاده الذين يفتقدهم كثيراً.

لم ترتفع معنويات سوريل بعد التكلم مع والديها، بل غاص مزاجها في الكآبة أكثر فأكثر. بدت لها تعاستها العميقة غامرة ولا يمكن حلّها أكثر من أي وقت مضى، وذلك في مواجهة سرور والديها الواضح تجاه حفيدهما المنتظر.

كان ريس في المنزل الضخم في مكان ما، وتوقعت سوريل على الأرجح أنه يعمل في مكتبه. إذاً ليس هناك من تغيير في ما يخص أولوياته. ها قد تركها مرة ثانية لكي تجد شيئاً ما يشغلها حتى تملأ فراغ الساعات التي بدأت تمتد أكثر فأكثر.

جنح ذهن سوريل بشكل طبيعي نحو المستقبل. أحست بمناهضة أكبر تجاه إصرار زوجها على عدم خوضها مجال العمل وهي حامل. ذهبت إلى غرفتها وأخرجت بحذر حقيبة أوراق ضخمة لتصاميم الأزياء التي كانت تعمل عليها منذ فترة. كانت قد عرضت تلك الرسومات على إحدى صديقاتها وهي مصممة فساتين تملك متجراً مميزاً في شيلسيا، فذُهلت نينا بموهبة سوريل، إلى درجة أنها أصرّت على أنه يجب عرض رسوماتها.

تعرفت على العديد من الأشخاص المرموقين في عالم الموضة خلال السنوات الخمس الماضية التي قامت فيها بعرض الأزياء، ودام ذلك إلى أن تزوجت بريس، ونينا براينت هي من أولئك الأشخاص.

عزمت سوريل على الاستفادة من جميع الأشخاص الذين تعرفهم في هذا المجال، وذلك بتشجيع من صديقتها نينا.

إن حاجتها لأن تكون مستقلة مجدداً بعد الأشياء المؤلمة التي قالها ريس لها، سوف تكون الدافع الذي تحتاجه حتى تحضّر لحياتها بعد قدوم الطفل. سوريل بحاجة لأن يكون لديها شيء تستند عليه إذا ما ساء الموقف بينها وبين ريس أكثر بعد، وذلك بغض النظر عن مدى اعتقاد ريس أنه ممسك بها، لأنه يمتلك الثروة ولأنه يجدر بها أن تكون خائفة جداً من هجره إذا ما منحته المحاكم حق حضانة الطفل. حتى لو اضطرت سوريل لأن تجاهد من الناحية المادية فحتماً هذا سيكون أفضل من العيش مع رجل لم يعد يحبها. إن دافعه الوحيد للبقاء متزوجاً منها هو أنهما سينجبان طفلاً، وهو لن يتخلى عن حسّه الفطري بالمسؤولية...

٣ ــ محاولة فاشلة

قام ريس بحجز طاولة للعشاء في مطعمه المفضّل، ثم راجع مفكرة أعماله المكتظة بالمواعيد فيما جلس إلى مكتبه في غرفة المكتبة، فتابع إلغاء وتغيير ما استطاع من المواعيد على مر الأسابيع القليلة القادمة. بالرغم من محاولته تجاهل مشاعره تجاه زوجته الشابة، وبالرغم من الغضب الذي يسيطر عليه بسبب ما فعلته، إلا أنه مع ذلك ما زال يكن لها ما يكفي من العواطف التي تجعله يشعر بالقلق عليها.

ما إن رآها في مكتب المحامي حتى لاحظ أنها فقدت القليل من الوزن، كما لاحظ إحساساً بالهزيمة يلف كتفيها، فلم يقدر ريس إلاّ أن يشعر بالمسؤولية تجاهها. لطالما شعر بالقلق على سوريل لأنها لا تهتم بنفسها بما فيه الكفاية. عملها يملي عليها بأن تبقى نحيلة وممشوقة القوام، ولطالما أزعجه ذلك. كان ذلك أحد الأسباب التي جعلته يرغب بأن تترك سوريل مجال عرض الأزياء عندما تعرف بها. أمل بشكل ما أن تتمكن من تناول الطعام بشكل طبيعي كأية فتاة سليمة شابة مثلها.

لطالما أحب ريس فكرة اصطحابها إلى أكثر الأماكن روعة وجمالاً في العالم لتتذوق الأطعمة الشهية، ولكي يشاهد استمتاعها بها. خلال السنة الأولى لزواجهما فعل ذلك بالتحديد، لكن بدا له كأن ذلك حصل منذ وقت طويل جداً، أما الآن فهو بالكاد يحتمل التفكير بالسعادة التي تشاركا فيها حينها بعد أن أثقلت المشاكل كاهلهما.

www.elromancia.com

رفع الصورة ذات الإطار الفضي الجميل الموضوعة على المكتب أمامه ليتفحصها عن كثب. تأمل صورة زوجته التي لطالما جعلت قلبه ينبض بسرعة أكبر، بغض النظر عن عدد المرات التي كان ينظر فيها إليها. إنه يحتفظ بنسخة أصغر من هذه الصورة في محفظة نقوده. عندما يكون بعيداً عن سوريل، لا يمر يوم واحد من دون أن يخرجها حتى ينظر إليها. أما الأشهر الثلاثة الماضية فلم تكن مختلفة على الإطلاق. ما زال وجه سوريل الساحر يبدو له ملائكياً وفاتناً، فعيناها اللوزيتان ذات اللون الأزرق الفاتح ما زالتا تبدوان غير اعتياديتين وصاعقتين بما فيه الكفاية لتجعلك ترغب بالنظر إليهما مجدداً.

أحس ريس أنه محظوظ جداً عندما تزوج سوريل، فقد عرف أن الرجال الآخرين سوف يحسدونه دوماً على حظه الجيد. فضلاً عن ملامحها المبهجة هنالك الكثير من الميزات التي يحبها في سوريل. بالرغم من أن سوريل كانت عارضة أزياء شابة معروفة عندما تعرف إليها، لكنها لم تكن مطلقاً إحدى أولئك النساء اللواتي يحتجن إلى عمليات تجميل مكلفة. عوضاً عن ذلك بدت عفوية، ممتعة ومرحة. لعل التبرج والملابس الأنيقة ضرورية خلال النهار نظراً إلى طبيعة عملها، لكن عندما تسترخي في المنزل أو خلال أي وقت فراغ تحظى به، كانت سوريل تبدو في أسعد حالاتها وهي ترتدي الجينز مع قميص قطنية، كما تختصر تبرجها إلى أقل حد ممكن. بشكل عام هي تحب الخروج من المنزل، فهي تحب المطر بقدر ما تحب الشمس المشرقة، كما أنها تفضل الخروج في نزهة سيراً على الأقدام في المناطق الريفية أو في جولة على الدراجة الهوائية، عوضاً عن التسكع في شارع كينغز في شيلسيا حيث يستدير كل رجل في المنطقة لينظر إليها. ذلك ما جعل ريس غير قادر على فهم سبب رفضها السفر معه وتفضيلها البقاء في المنزل.

لكن سوريل عاطفية جداً، ولمزاجها تأثير بالغ على شهيتها، فهي

بالكاد تلمس طعامها عندما تشعر بالغضب أو القلق، وهذا هو الأمر الأهم الذي يشغل بال ريس في الوقت الحالي. بكل بساطة عليه أن يقنعها بالحفاظ على شهية سليمة، ليس لمصلحتها فقط بل لمصلحة الطفل أيضاً.

الطفل...! فرك ريس يده فوق ذقنه متنهداً، بعدما أعاد الصورة بعناية إلى المكان الذي حملها منه. سوف يصير أباً، وهذا يعني أن لا خيار أمامه سوى التقليل من التزامات عمله خلال الأشهر القليلة المقبلة، وعلى الأرجح لفترة لا بأس بها بعد وصول الطفل. إنه لا يريد أن يكون من ذاك الصنف من الآباء الذين يعملون بشكل دائم طيلة فترة نمو أطفالهم.

لعله فضّل مهنته على كل شيء آخر حتى الآن، لكن ريس يعلم أن الوقت حان كي يتروى قليلاً في ما يتعلق بطموحه. آن الأوان كي يتعلم بأن يصير شيئاً لم يكن قد فكر به بصدق من قبل: رب عائلة! أما السؤال فهو: هل هو قادر على القيام بهذا لأجل الطفل، أم أن الشرخ بينه وبين سوريل أصبح واسعاً جداً ولا يمكن تجاهله؟

- هل ستحاولين أن تتناولي ذاك الطعام، أم تنوين ببساطة أن تحركيه في الصحن طيلة الأمسية؟

وجد ريس الكثير من الصعوبة في تحمل هذا العشاء الإجباري في ذلك المطعم الأنيق الذي يعج بالزبائن المتأنقين. أخيراً وضعت سوريل شوكتها جانباً، ثم ألقت يديها بحذر على حضنها، فيما عبست باتجاه زوجها الذي يجلس في الجهة المقابلة للطاولة.

- أنا لست جائعة.

- أنت لست جائعة، أم أنك تتعمدين أن تتصرفي بغرابة فقط لكي تغيظيني؟

قال ريس ذلك فيما رمى فوطته جانباً بالقرب من صحنه، ونظر إلى سوريل بتحديق غاضب، أما فمه فبدا كأنه خط قاس يدل على عدم

الرضى والخيبة المريرة.

تمنت سوريل بشدة أن تتمكن من مسامحة ريس نظراً إلى لطفه معها الآن بالذات، إلى درجة أنها كادت تقول له إن السبب ليس افتقارها إلى الجوع بل السبب خوفها مما قد يفعله الطعام بمعدتها غير المستقرة.

جل ما استطاعت سوريل أن تحمل نفسها على قوله: «قلت لك إنه كان يجدر بنا أن نبقى في المنزل لتناول الطعام».

- أردت أن نخرج سوياً لتناول العشاء لكي نحاول على الأقل القيام بمحاولة باتجاه ترسيخ نوع من التفاهم المشترك بيننا. المحيط هنا ممتع، أما الطعام فهو من الدرجة الأولى. جل ما عليك فعله هو أن تجلسي مستندة إلى الوراء فتسترخي وتحاولي الاستمتاع بالأمر.

- ليس السبب أنني...

- هل نسيت أيضاً أن لدينا شيئاً مميزاً نحتفل به؟

تفحّصه المتعمد لسوريل جعل الاحمرار يزحف بقوة إلى ملامحها الجميلة مصحوباً بالحرارة المفاجئة. بالرغم من توترها وعدم سرورها لم تقوَ على مقاومة المشاعر التي اندفعت منتشرة عبر جسدها بأكمله. لعلها تدعي أنها لا مبالية باهتمام ريس بها، لكن ذلك بكل بساطة ليس صحيحاً، فردة فعلها العفوية تجاهه الآن بالذات تدل بوضوح على أنها منجذبة نحو زوجها كما كانت دوماً.

- هل تظن فعلاً أن لدينا أمراً مميزاً نحتفل به؟ أنت لم تعبر حتى عن شعورك تجاه حملي بهذا الطفل.

نهشت هذه الذكرى ثقة سوريل بنفسها، فملأتها بالشك. بدا ريس عملياً تماماً منذ البداية. أحضرها إلى المنزل، واشترى لها اختباراً منزلياً للحمل، ثم رتب لها موعداً لمقابلة الطبيب عندما جاءت نتيجة فحص الحمل إيجابية. فعل كل شيء باستثناء التعبير عن التأثير الذي أحدثه هذا الخبر عليه على الصعيد العاطفي. هل أراد هذا الطفل

فعلاً؟ سوريل تعلم أن مهنة ريس هي أهم شيء بالنسبة إليه.

- ألم يفاجئك ذلك نظراً إلى الظروف الراهنة؟

أشاح ريس بنظره بعيداً للحظة، كما لو أن احتواء مشاعره في هذا المسرح العلني أمر صعب يُفضل ألا يضطر للتعاطي معه الآن.

- نحن لم نناقش أبداً مسألة إنجاب الأطفال، أليس كذلك؟ أنت مولعة بابنة وابن شقيقتك، لكنني افترضت أنك ستنتظرين على الأقل بضع سنوات أخرى قبل أن تنجب طفلاً. أنت في الخامسة والعشرين من عمرك فقط، سوريل. آخر شيء أردته هو أن تشعري كأنك مقيدة إلى طفل في عمر مبكر كهذا.

- لِمَ قد يجعلني إنجاب طفل أشعر أنني مقيدة؟

بدا عبوس سوريل أكثر وضوحاً. أطبقت فمها الجميل واختارت كلماتها التالية بعناية، فيما طاف على السطح تفاؤل مفاجئ غير متوقع من مكان ما في أعماقها. قالت: «ما زال بإمكاننا أن نسافر معك في بعض الأحيان، ألا يمكننا؟ خصوصاً عندما يكبر الطفل في السن. لن أكون مضطرة للبقاء محتجزة في المنزل طيلة الوقت فقط لأنني أم».

- ذلك مضحك! هل ستكونين مستعدة للسفر معي بعد وصول الطفل، مع أن ذلك كان بالنسبة لك مشكلة حقيقية.

- أي متعة قد أجدها في ارتياد المعالم السياحية بمفردي فيما أنت منشغل بالعمل، حتى لو كنت موجودة في أحد أكثر الأماكن السياحية روعة في العالم؟ سوف أحظى ببعض الرفقة على الأقل إن كان الطفل برفقتي!

بدا ريس ممزقاً بين الشعور بالاحباط تجاه منطق سوريل الجنوني وبين الاحساس بمرح غير متوقع تسلل إليه خلسة. وجد نفسه ينحني إلى الأمام فيشبك يدها بيده. ركّز نظراته على وجهها الجميل الشغوف، ولم يقوَ على مقاومة جيشان الدماء الحامية التي تسارعت فجأة في عروقه. تآكله التوق إلى احتضان سوريل بين ذراعيه والتمتع

بدفء جسمها الذي يلهب مشاعره.

- لطالما كنا جيدين سوياً. ما الذي جرى لنا، سوريل؟

ذكّرها ريس بذلك بينما انخفضت نبرته بشكل حميم، في حين كادت نظراته النهمة المتفحصة تلتهمها.

سمحت سوريل لعيني ريس الخضراوين بأن تغويانها للحظة طويلة. شعرت بدغدغة في جسدها الذي حرم من الحب والشغف طيلة ثلاثة شهور معذّبة، وجاش في داخلها إحساس متطلب جعلها تتوق إلى عناق ريس... أصبح من الصعب عليها أن تبقى جامدة في مكانها. أخذت نفساً عميقاً وهي تحاول أن تسيطر على رغبتها الشديدة بأن تحصل على اهتمام زوجها وعناقه. بدا الألم والارتباك اللذان رافقاها لفترة طويلة جداً يذوبان شيئاً فشيئاً، وبدأت شفتاها تتجهان نحو تشكيل ابتسامة بالرغم عنها.

- هذا لا يعني أن الأمور لا يمكنها أن تكون جيدة بيننا مجدداً فقط لأننا ننتظر قدوم طفل. لا يمكنك أن تنكري أنك تملكين مشاعر تجاهي، سوريل... يمكنني أن أرى ذلك في عينيكِ.

عادت سوريل وأسرت ابتسامتها على الفور خلال لحظة، فيما تشرّبت كلمات ريس بوضوح بارد كالثلج. مخاوفها حيال عدم رغبته الفعلية بالطفل أثبتت فجأة صحتها. انتُزعت منها أية متعة كانت قد أملت بها كحلم لذيذ تحول فجأة إلى كابوس، فسحبت يدها بقوة لتحررها من قبضة ريس.

- ما الذي تقصده بقولك «هذا لا يعني أن الأمور لا يمكن أن تكون جيدة بيننا مجدداً فقط لأننا ننتظر قدوم طفل»؟ أنت معارض لهذا الحمل. ألست كذلك؟ أنت لا تريد طفلنا هذا على الإطلاق! علمتُ أنك لا تريده! الفكرة الوحيدة التي تشغل بالك هي أن تستخدم الطفل ضدّي لأنني أريده!

صاغت سوريل اتهامها له بكلمات لاذعة، وعلى الفور لاحظت

الحماوة والتوق في عيني ريس يتراجعان، لتحل مكانهما أرض مهجورة.

- إن كذبة فاضحة غير معقولة كهذه لا تستحق أي ردّ مني.

قال لها ريس ذلك بنبرة ملؤها الحقد، ثم أشار بيده إلى أحد النادلين الواقفين على مقربة منه كي يحضر له فاتورة الحساب.

أُفسدت الأمسية قبل أن تبدأ فعلاً. دفعت سوريل نفسها فوقفت على قدميها بينما راح قلبها يخبط بقوة داخل صدرها. ما كان يجدر بها أن تتفوه باتهام فظ كهذا، لكن الأوان فات للتراجع عن كلماتها تلك. أما ريس فلم يقل أي شيء ليطمئنها بخصوص ذلك. يا له من أمر مؤسف! خصوصاً الآن بعد أن قام بمحاولة للتواصل معها. أراد أن يُظهر لها أنه لم ينسَ الشرارات الحامية التي تتولد بشكل عفوي جداً بينهما. لم تستطع سوريل إلا أن تندم على تصرفها المندفع غير المدروس، وذلك على الرغم من شكوكها. بدأت تسير مبتعدة عن طاولتهما وهي تجرجر بقايا آمالها وأحلامها المدمرة بصمت. أما ريس فنهض على الفور على قدميه وقبض على ذراعها. للحظة لم تقدر سوريل على التقاط أنفاسها. طالبها بنبرة انتقادية خفية فيها هيجان بالكاد يسيطر عليه: «إلى أين أنت ذاهبة؟».

- إلى غرفة الاستراحة المخصصة للنساء. إلى أين تظنني ذاهبة؟

ترك ريس ذراعها تسقط بحرية، ثم أعطاها التعليمات باختصار قائلاً: «لا تتأخري، فحالما تعودين سوف نغادر».

إنها كارثة! إنهما كارثة سوياً! وهو يلوم نفسه لأنه خطط لهذا العشاء أصلاً. إنه مستعد لأن يهب الكثير الآن بالذات مقابل أن يخفف التوتر الذي يمسك بخناقه، والذي يكاد لا يحتمل. ليته يستطيع أن يخدع نفسه فيعتقد أن هنالك طريقة ما تسمح له ولسوريل بإيجاد طريقة للسير قُدماً خارج هذه الفوضى العارمة التي تخوضها علاقتهما، لكنه يشك بهذا جدياً. مهما يكن، إذا لم يتمكنا من إيجاد

طريقة ما تخرجهما من هذه الفوضى، فليكن الله بعون طفلهما المسكين. لكن بالرغم من ذلك، لا مجال أبداً كي يسمح لسوريل أن تهجره مجدداً. سوريل هي ضمن مسؤوليته الآن أكثر من أي وقت مضى، ولديه واجب تجاهها هي وطفلها على حد سواء. لن يفعل شيئاً على مرّ الأيام والأسابيع القادمة سوى أن يجعلها ترى بأن لا مفر لها من ذلك الواقع. هما لن يتطلقا، وسوريل لن تتمكن من إقصائه من حياتها، ولن تخرج نفسها وطفلها من دائرة حمايته الضرورية جداً لهما. إنهما عالقان في هذه المسألة سوياً، وسوف يبقيان سوياً كعائلة واحدة متحدة. ريس عازم تماماً على ذلك.

- ريس، يا عزيزي! كم من الرائع أن أراك!

رفع ريس نظرة متفاجئة نحو صاحبة النبرة الرنّانة، فإذا هي امرأة لاتينية سمراء أنيقة الملابس واقفة أمامه: أنجلينا كورتيز هي نجمة بكل ما للكلمة من معنى! كان ريس قد روّج لحفلاتها الغنائية في الولايات المتحدة الأميركية وفي أوروبا. مع أن متطلباتها العديمة الرحمة كانت تدفعه أحياناً إلى الجنون، إلا أنه كان يسامحها لحظة تفتح فمها بصوتها الرائع. الصوت الاستثنائي الذي تملكه هذه المرأة قادر على أن يذيب أكثر القلوب قساوة بفضل الاحساس المرهف والشغف اللذين يحملهما.

نهض ريس على قدميه، وعانقها بمودة، فدغدغ أحاسيسه عطرها الرائع وعيناها السوداوان المتألقتان. لاشك أن هاتين العينين هما ذات تأثير هائل على أي رجل سليم يصادف وجوده في جوارها.

- أنجلينا! تبدين أجمل من أي وقت مضى، حسبما أرى. ما الذي تفعلينه هنا في لندن؟ ظننتك ستأخذين بضعة أشهر للاستراحة لكي تمضي المزيد من الوقت مع إيمانويل الصغير؟

- أنا كذلك. هذا ما فعلته بالفعل! سافرنا أنا وابني الصغير، ونحن نستمتع بكل دقيقة من ذلك! وصلنا بالطائرة من ميلانو يوم

أمس. ماذا عنك؟ هل تتناول العشاء مع زبون ما، أم أن هذه الليلة استراحة نادرة من العمل بالنسبة إليك، عزيزي؟ لطالما قلت لك إنك تكدّ كثيراً في العمل، حتى لو كنت تعمل لصالحي!

- أنا هنا برفقة سوريل... زوجتي.

نظر ريس من فوق كتفي أنجلينا نحو الطرف الآخر من المطعم حيث اختفت سوريل فيما ابتسم لعيني أنجلينا المهتمّتين. أحس بوخزة قلق على سوريل لأنها استغرقت الكثير من الوقت.

- أتقصد تلك الشقراء الرقيقة ذات العينين الزرقاوين الصغيرتين؟ أنا أذكرها جيداً. سيكون من الرائع أن أتعرف عليها بشكل لائق فتتناول العشاء سوياً يوماً ما. ألا تظن ذلك؟

- نعم. أنا واثق من أن سوريل سوف ترحب بالفكرة.

- في هذه الأثناء علينا أن نلتقي أنا وأنت على الغداء ريس. تحدثت إلى مدير أعمالي هذا الصباح، وهو يريدني أن أقوم بجولة أميركية أخرى، تتخللها بعض المواعيد الأوروبية الاستثنائية. بالطبع عليك أن تروّج لي، كما فعلت سابقاً. سوف أتصل بك خلال الأيام القليلة المقبلة، حسناً! أنا أنزل في فندق دروتشيستير، لذا سوف أحجز لنا طاولة هناك.

فكر ريس أن الوقت الآن غير مناسب حتى يشرح لأنجلينا أنه يفضل ألاّ يلتزم مشروعاً كبيراً كهذا، فيما زوجته حامل. سوف يوضح لها عندما يتناولان الغداء سوياً، كما سيعبر لها عن أسفه لذلك.

بدأ يشعر بالتوتر نوعاً ما لأن سوريل لم تعد بعد. أرخى قبّة قميصه قليلاً، وأجبر نفسه على الابتسام للنجمة الساحرة المتألقة، ثم قال: «أنا أتطلع قدماً حتى تتصلي بي».

- إلى اللقاء عزيزي. من اللطيف أن أراك مجدداً!

تباطأت قدما سوريل على السجادة الحمراء السميكة عندما خرجت من دورة المياه المخصصة للسيدات. راقبت بإحباط منظر زوجها وهو

يعانق امرأة سمراء صاعقة الجمال. تعرّفت على الفور إلى نجمة الأوبرا المشهورة أنجلينا كورتيز، وتذكرت الأسابيع الطويلة التي أمضاها ريس بعيداً عن المنزل خلال العام الماضي، وهو يجوب العالم برفقة المغنية الإسبانية فيما كانت تقوم بجولتها الغنائية. التواصل الوحيد الذي حظيت به مع ريس خلال تلك الفترة التي أمضياها منفصلين عن بعضهما كان عبر الاتصالات الهاتفية اليومية. أحياناً كانت اتصالاتهما تستمر لدقيقة وجيزة أو اثنتين قبل أن يضطر ريس لأن يعود فيعطي كل اهتمامه لأنجلينا. تساءلت سوريل إن كان فراقه عنها بالنسبة إليه بالصعوبة نفسها التي كانها بالنسبة إليها. بشكل ما لم تظن ذلك. لا سيما بعد أن رأت جمال وأناقة المرأة الساحرة الواقفة إلى جانب ريس. الغيرة والألم جعلاها غير قادرة على الحراك، وجعلاها فجأة تشعر أن ركبتيها ترتعدان وترتخيان. تعمّدت سوريل أن تنتظر حتى ابتعاد أنجلينا عن طاولتهما، فأخذت وقتها وهي تتباطأ بالمشي قبل أن تعود لتنضم إلى زوجها.

- هل كل شيء على ما يرام؟

هزّت سوريل كتفيها، ثم التقطت دثار الكشمير الأسود الذي تركته مدلّى فوق كرسيها، وقالت: «هل أنت مستعد لتغادر الآن؟».

- هل أحضر لك شيئاً ما؟

تمهل ريس في سيره، فحلّ ربطة عنقه، ثم نزع عنه سترة بذلته وقذفهما كلاهما على مسند أريكة قريبة منه. بالكاد وجهت سوريل له كلمتين منذ أن غادرا المطعم. وبالكاد تمكن ريس من ردع موجة الغضب والامتعاض التي أخذت تتصاعد في داخله، بالرغم من أنه كان قد تعهد لنفسه بأنه سيبذل كل ما في وسعه ليحاول إعادة بعض الانسجام بينهما. إنه يفضل أن يضطر إلى التعامل مع مزاجها السيء عوضاً عن هذا البعد والجفاء الباردين الذين توجههما نحوه كما لو أنها تمثال جامد. بدت سوريل في فستانها الأسود البسيط، وبشرتها

الباهتة التي يلامسها ضوء القمر وبشعرها الفاتح الأشقر كالعسل، كما لو أنها أميرة قادمة من القصص الخيالية تجمّدت في الثلج، وهي تنتظر مجيء الأمير الوسيم ليذيب عنها الثلج بشكل سحري. لم يقوَ ريس على منع نفسه عن التساؤل إن كان سيتمكن من ممارسة أي نوع من السحر على زوجته لكي يساعد على استعادة عواطفها تجاهه.

- لا، شكراً. أظنني سأتوجه إلى السرير مباشرة.

- بمفردك؟

جاهد ريس لمقاومة سخطه المتنامي تجاه تراجع سوريل المتعمد عن التواصل معه، بينما اتّقدت عيناه فوق وجهها المصعوق.

- أنا لست مستعدة لذلك... أقصد... أن نتشارك في غرفة النوم بعد. أرجوك تفهّم ذلك.

حمل صوت سوريل الناعم الساحر ألماً حقيقياً، فهدأ لوهلة غضب ريس، بالرغم من أن رفضها مشاركته إياها السرير جرحه في الصميم.

- اذهبي! اذهبي إلى النوم، سوريل. سأراك في الصباح.

ما إن استدار ريس حتى أدرك أنه لم يشعر بهذا القدر من الإحباط حتى عندما هجرته سوريل منذ بضعة شهور. إنه أمر صعب أن يخوض مسار الحياة وقد أُطفئت كل شرارة موجودة في داخله، بسبب التراجع المميت لعلاقته مع زوجته. سألته سوريل وهو يدير لها ظهره: «أكانت تلك أنجلينا كورتيز التي رأيتك تتكلم معها في المطعم هذه الليلة؟».

حلّل ريس السؤال المفاجئ، ثم استدار حول نفسه، فيما بدت ملامح وجهه حذرة على الفور.

- هل رأيتنا؟ لِمَ لم تأتي إلينا لتلقي التحية؟

أشاحت سوريل بنظرها بعيداً عن نظرة اللوم التي ظهرت في عيني ريس، فيما أحست باحمرار وجهها بسبب الشعور بالذنب. أجبرت نفسها على إظهار نبرة مرحة وهي ترد قائلة: «بدوتما مسرورين جداً

www.elromancia.com

سوياً. هل ستقوم بجولات جديدة عما قريب؟».

أخذ ريس نفساً عميقاً، وعلم أنه لا يجدر به أن يبدو مصدوماً جداً بجفاء سوريل. أجاب: «ربما! لماذا ترغبين بمعرفة ذلك؟».

لم تقوَ على إخفاء خيبة أملها وخوفها فيما قالت: «من الواضح أنني بحاجة لأن أعرف... إذا ما كنت ستبتعد لأشهر متواصلة من جديد... لاسيما الآن ونحن ننتظر قدوم الطفل».

- بالطبع! سوف آخذ ذلك بالحسبان.

إنه لا يرغب بالدخول في التفاصيل الآن بالذات. أدرك ريس بالفطرة أنه لو فعل ذلك، فإن سوريل سوف تسيء قراءة أي تفسير يقدمه لها. يبدو أن عدائيتها لا يمكن تجنبها.

- إنها أرملة. أليست كذلك؟ لابد أنها تحب أن تقدم لها الاهتمام والرعاية عندما تسافران سوياً.

بالرغم من أن المنطق يملي على سوريل ألا تبالغ بالأمر أكثر، لكن أساها على خسارة عاطفة زوجها جعلها تجازف حتى الموت.

لوى ريس زاوية فمه باحتقار، فيما ارتسمت في عينيه نظرة قاسية، ثم قال: «أنا لا أهتم كثيراً بها، أنا أروج للحفلات الموسيقية التي تقيمها تلك المرأة. هذا جل ما في الأمر. لو أنك تصرفت كما تتصرف الزوجة الحقيقية، فسافرت برفقتي عندما أعمل، لشاهدتِ الحقيقة بنفسك»!

مدّت سوريل يدها من دون أن ترى، فأمسكت بمقبض الباب وهربت إلى الرواق، بينما أحرق تصريحه اللاذع أعماقها.

٤ ــ هل يذوب الجليد؟

تراءى لسوريل في الحلم أن ريس وأنجلينا كورتيز يضحكان ساخرين منها. رأتهما يمسكان بأيدي بعضهما البعض ويهزآن من بؤسها وعذابها، أما هي فبكت، فيما أحست كما لو أنه يتم سلخ جلدها وهي حية بواسطة سوط مزود بالمسامير الحامية الحمراء. عنّفها ريس موبخاً ساخراً، بينما لوى فمه وبدت عيناه قاسيتين كحجر الصوان حين قال لها: «أنت لا تعرفين كيف تكونين زوجة حقيقية!».

أجابته: «بلى... أنا أعرف! أرجوك، امنحني فرصة أخرى، ريس. أعدك أنني سأحاول أن أكون الزوجة التي ترغب بها!».

استيقظت على أساها العميق، وهي تشعر بألم حقيقي مبرح في أسفل معدتها. بدا جبينها ندياً بسبب التعرّق، أما قميص نومها القطنية القصيرة فرطبة بشكل غير مريح. حين أجبرت نفسها على الجلوس باستقامة في السرير، أحست بموجات حادة من الألم الموهن كاد يجعل رأسها يسقط إلى الخلف على الوسادة من جديد. بدا الألم حاداً وقوياً جداً إلى درجة أن جل ما استطاعت أن تفعله هو أن تشهق لتستنشق ما يكفي من الهواء. تصاعد شعورها بالكرب بشكل مأساوي عندما أبعدت عنها الغطاء المصنوع من الساتان فرأت أن رداء نومها الأبيض ليس ملطخاً بالعرق بل بالدم، ما سبب لها الرعب القوي. راحت سوريل ترتجف بينما قبضت بيديها على معدتها، وعندما أدركت برعب بارد صارم أنها حتماً بدأت تفقد طفلها أخذت تصرخ

بقوة: «آه، يا إلهي! آه، يا إلهي..!».

لم يكن أمامها أي خيار آخر سوى إجبار نفسها على الوقوف على قدميها لتحاول الوصول إلى الباب، إذ علمت أن ريس على الأرجح لن يسمع صرخات الكرب الصادرة من غرفتها، خصوصاً إذا كان مستغرقاً في النوم في غرفته التي تقع على بعد بضعة أمتار من غرفتها.

تمكنت سوريل من الوصول بتثاقل إلى الباب.

- ريس!

صرخت سوريل عالياً بهستيريا، بينما تمسكت بالباب بإحدى يديها، وأمسكت رداء النوم بيدها الأخرى. أما الخوف في داخلها فراح يتصاعد حتى كاد يخرج عن سيطرتها.

صاحت من جديد: «آه، يا إلهي...! ريس... ساعدني، أرجوك!».

بدوره ريس كان يحلم أيضاً... أحلاماً غامضة مزعجة، راحت تطارده حتى جعلته يفرز عرقاً بارداً مثلجاً. تحرك كالبرق، فجلس مستقيماً في فراشه عندما اخترق لاوعيه صراخ الاستغاثة المفاجئ الذي أطلقته سوريل، وأخذ قلبه يخبط بحدة شديدة نبهته على الفور بوقوع الخطر.

تساءل بهلع إن كان يتخيل الأمر برمته أم أن الأمر مجرد جزء من الكابوس الذي كان يزعجه. قذف ريس رجليه خارج السرير عندما سمع صوت سوريل مرة أخرى. إنها في حالة كرب حقيقية، فقد تحول صراخها إلى نشيج يكاد يشبه بكاء الأطفال. اندفع مسرعاً خارج الباب ولم يكن يرتدي سوى سروال بيجامته القطني الأزرق، فلاقاه وجهاً لوجه المشهد المروع الذي لن يتمناه حتى لأسوأ أعدائه.

جل ما استطاع أن يراه في بادئ الأمر هو الدم. أما ذهنه الذي بدأ يستيقظ بسرعة فحاول أن يفهم المشهد المروع. لابد أن سوريل تعثرت فسقطت وجرحت نفسها. في تلك اللحظة بالذات لم يسمح

ريس لنفسه أن يصدق بأن البقع القرمزية التي تلوث رداء نومها الأبيض لها أية علاقة بالطفل... بطفلهما... أرجوك يا إلهي، لا...!

- ما الخطب، عزيزتي؟ ما الذي فعلته بنفسك؟ أخبريني، سوريل... دعيني أساعدك!

حاول ريس أن يقود سوريل لتعود إلى غرفة النوم، لكنها انحنت إلى الأمام فجأة بسبب الألم الحاد، فيما التفت يدها بشدة حول إطار الباب. سرعان ما عادت نظرات ريس والتقطت بهلع منظر الدماء التي تقطر نزولاً حتى قدميها فتلطخ السجادة الفاتحة اللون التي تقف عليها. من الواضح أن مخاوفه بخصوص الطفل هي حقيقية جداً. إن سوريل تفقده الآن...! تقلص حلق ريس بسبب المشاعر التي غمرته. ما لبثت سوريل أن صرخت مجدداً، فأدرك أن عليه أن يوصلها إلى المستشفى قبل أن تنزف حتى الموت. وضع ذلك الهدف الوحيد في ذهنه، فحملها بين ذراعيه ونقلها إلى السرير. استلقت سوريل هناك خائفة باكية، فأمسك ريس بيديها الباردتين، ونظر بإلحاح إلى عينيها الزرقاوين المرتعبتين قائلاً: «حبيبتي! سوف أوصلك بنفسي إلى المستشفى. لن أتصل بسيارة الإسعاف لأن بإمكاني أن أوصلك إلى هناك بسرعة أكبر. سوف يكون كل شيء على ما يرام، يا ملاكي... أعدك بذلك! فقط دعيني ألفك بهذا لأبقيك دافئة، ثم ننطلق».

جذب ريس اللحاف عن السرير، فوضعه بحنان ورقة حول كتفي سوريل. لامس وجهها بخفة، ثم عاد وحملها مجدداً بين ذراعيه.

سألته سوريل بصوتها المرتعش قائلة: «هل سأموت، ريس؟ هنالك الكثير من الـ...دم!».

لم يكن هنالك من جدوى بأن تسأله إذا ما كانت ستخسر الطفل. فقد علمت ذلك حالما نهضت من النوم وهي تشعر بذاك الألم المريع الذي يخترقها كأنه يقص جسمها إلى نصفين عند الوسط، وبعد أن رأت البقع القرمزية الواضحة على رداء نومها.

أحست سوريل بذراعي ريس القويتين تطوقانها بإحكام أكبر. أما نظراته فبدت حادة مطمئنة وهو يحدق بها قائلاً: «أنت لن تموتي، سوريل... لا تجرؤي حتى على التفكير بذلك! سوف أوصلك إلى المستشفى وسوف يسير كل شيء على ما يرام... هل تسمعينني؟».

في تلك اللحظة أغمضت سوريل عينيها متألمة، إذ سرقت منها الكلمات التي أرادت قولها، موجة أخرى من الألم المريع، لكن فكرة واحدة واضحة رنّت في ذهنها فوق كل الأفكار الأخرى. إن ريس مخطئ... إنه يتوهم أو إنه متفائل جداً في كلامه إلى حد مضحك... لن يكون أي شيء على ما يرام من جديد على الإطلاق.

* * *

بدا السقف شديد البياض. حدقت به سوريل بينما حاول ذهنها بكل عزم ألا يركز على الرعب والألم اللذين نجت منهما للتو. تذكرت سقفاً مشابهاً لهذا في غرفة العمليات الخاصة بعيادة طبيب أسنانها. إنها غرفة باهتة اللون كهذه الغرفة، مع ذلك تم إضفاء جو مريح عليها بواسطة ملصق جداري ملون لجزيرة كاريبية تغمرها الشمس الساطعة.

ذاك الملصق الجداري لم يفشل أبداً في أن يحملها إلى عالم آخر. اعتادت سوريل أن تركز نظرها بتصميم على ذاك المشهد، بينما كان طبيب الأسنان يعتني بأسنانها، وتستمر بهذا حتى ينتهي من معالجتها. بالكاد كانت تلاحظ مرور الوقت وهي قابعة في الكرسي بين يدي طبيب الأسنان، لأنها كانت تحلم بالاستلقاء على ذاك الشاطئ. تمنّت لو أن بمقدورها أن تستجمع قدرتها تلك بأن تحلم لكي يمر الوقت بسرعة الآن أيضاً. لكن كيف يمكنها أن تفعل ذلك في حين أنها تشعر كأن قلبها اخترقه بقوة مسمار صدئ، أما روحها فبدت ذابلة ومستنزفة؟

ساورتها حاجة ملحة إلى البكاء، لكنها لم تتمكن من إطلاق

دموعها، لأن المخدِّر القوي الذي أعطوها إياه في المستشفى بدا مفعوله كالحائط الصخري الذي لا يمكن خرقه، بحيث صار حاجزاً بين قلبها ودموعها.

أحس ريس كما لو أنه أحد الناجين من حادث تحطم قطار، أو من اصطدام بمثل هذه القوة. كاد لا يتعرف إلى نفسه وهو يحدق إلى المرآة الموجودة فوق المغسلة في المرحاض المخصص للرجال في المستشفى. لاحظ أن ملامح وجهه باهتة اللون بسبب انفطار قلبه وبسبب ارتعابه. عندما أدرك ريس أن سوريل تخسر طفلهما، أصابه الهلع خشية أن تخسر حياتها أيضاً في خضم ذلك. استشعر خطورة الموقف أكثر عندما منعه الفريق الطبي في المستشفى من البقاء قرب سوريل. راح قلبه يتخبط بقوة في أضلاعه وهو ينتظر الطبيب الجراح المسؤول كي يظهر من جديد. خاض ريس رحلة أشبه بالكابوس حتى تمكن من إيصالها إلى هنا. ليس بسبب زحمة السير، بل لأن صرخات الألم والضيق التي أطلقتها سوريل مزقته وسببت له العذاب. الذنب هو ذنبه بالكامل. لو أنه لم يجبرها على الخروج برفقته لتناول العشاء، في حين بدا من الواضح أنها لم تكن تشعر برغبة في ذلك... لو أنه لم يتجادل معها ولم يهددها باللجوء إلى المحكمة إن رفضت العودة معه إلى المنزل... فقط لو أنه حاول أن يكون أكثر تفهماً لرغبتها بأن يمضي معها في المنزل وقتاً أكبر، عوضاً عن قضاء أيامه مسافراً في غالبية الأوقات...

حدّق ريس إلى تلك المرآة، فيما تأمل بعذاب صامت الأمور التي كان بإمكانه القيام بها لكي يجعل زوجته تشعر بأنها محبوبة أكثر. لم يذرف ريس الدموع مذ كان في الرابعة عشرة من عمره عندما قيل له إن والدته تحتضر، وإنها لن تنجو من مرض السرطان. يومها ذهب ليقيم مع عمته شيرلي في نيويورك، حيث حبس كل مشاعره بعيداً في أعماقه، على أمل أن يقدر على تحصين قلبه الجريح ضد أي ألم مدمر

كهذا. لكن خلال الساعات القليلة الأخيرة، اكتشف أن قلبه حساس وسريع العطب. إنه يرغب الآن بأن يبكي من دون توقف. أخذت الدموع تخز جفنيه مهددة بجرفه إلى حافة الهاوية. لكن ما إن أصبح نظره ضبابياً حتى استدار مبتعداً وهو يشعر بالقرف. بدأ يقوي نفسه ذهنياً حالما خرج إلى الرواق، وقبل أن يقابل سوريل وجهاً لوجه بعد الصدمة التي تعرضا لها ليلة أمس.

لفّت سوريل يديها على شكل قبضتين إلى جانبي جسدها، ووضعتهما فوق الغطاء، أما وجهها فبدا باهتاً كالقمر في ليالي الشتاء. عندما دنا ريس من سريرها، أحس بارتخاء خفيف للتوتر بين كتفيه. شكر الرب بصمت لأنهما اجتازا الرحلة التي قطعاها ليلة أمس، ولأن سوريل تحررت من تلك الأنابيب والأسلاك الخاصة بالمستشفى، التي تشير إلى وضع صحي خطير. كان هنالك كرسي رمادي بالقرب من السرير، بالإضافة إلى خزانة صفراء اللون على الجانب الآخر. باستثناء ذلك بدت الغرفة مجردة إلى حد كبير من أية زينة أو وسائل راحة. سوف يخرج سوريل من هذا المكان حالما يحصل على موافقة الطبيب. قرر ريس ذلك بسرعة، إذ من غير الممكن أن تستعيد سوريل عافيتها في محيط محبط كهذا. لكنه مع ذلك ممتن جداً لما قام به الفريق الطبي. لقد أنقذوا حياة زوجته ومنحوها غرفة خاصة بها على الأقل.

سجلت سوريل وجود ريس بعينيها، فاستدارت لتنظر إليه، كما لو أنها تمشي خلال نومها وتعثرت بشيء ما أيقظها. انعكست في أعماق عينيها الزرقاوين اللتين صعقهما الأسى لمحة وجيزة للألم والارهاق، ما جعل معدة ريس تتقلص ألماً.

- مرحباً!

قالت سوريل ذلك بنعومة بصوتها ذي النبرة المبحوحة، ما أرسل ارتعاشات تسللت نزولاً على عموده الفقري. مد ريس يده نحو قبضة

سوريل المطبقة. وتفاعلت سوريل معه بإرخاء أناملها المطبقة قليلاً كما لو أنها برعم مطبق يتفتح بتأثير لمسته. بالرغم من كل الأحداث المريعة التي خاضتها سوريل، ما تزال أكثر النساء سحراً وجاذبية بين من وقعت عليهن عينا ريس يوماً. بالرغم من أنه لم يغفل عن الظلال البنفسجية الباهتة تحت عينيها، ولا عن انحناءة فمها التي تدل على الشعور بالأسى، إلا أن جمالها ورقتها ما زالا يشعّان من خلال الألم.

أراد ريس بشدة أن يعانقها. رغب بذلك بقوة إلى درجة أنه كاد يرتعد من فرط حاجته هذه. أراد أن يشعر ببشرتها الرقيقة الرائعة، لكن الخوف من الصد والرفض ردعه.

- مرحباً!

ابتسم ريس لها، ثم تساءل إن كان سيرى شفتيها الحلوتين تنفرجان بابتسامة مرح أو سعادة. تابع: «كيف حالك؟».

- ما زلت أتألم.

أجفل ريس، لكنه قال: «أعلم ذلك حبيبتي. ليت بمقدوري أن أبعد عنك الألم! أنت شجاعة جداً، عزيزتي... شجاعة وقوية. سوف أخرجك من هنا إلى مكان أفضل، لكي تشعري براحة أكبر».

بدا وجه ريس مجرداً من اللون، أما ملامحه البارزة بقوة فبدت مقفرة بسبب الصدمة والأسى. لاحظت سوريل أن خلف ابتسامته يكمن محيط واسع من العذاب المكبوت. بدا ذلك واضحاً في فكه الكئيب المطبق، وفي الهالات الغامقة تحت عينيه. من الواضح أن ريس اضطر لأن يغوص إلى عمق أعماقه لكي يجد الإرادة الكافية حتى يرسم تلك الابتسامة. تساءلت، أيشعر ريس بالارتياح في سرّه لأنها خسرت الطفل؟ علمت سوريل أن هذا حكم مريع عليه، وعلى الأرجح أنه لا يستحقه، لكن بالرغم من ذلك هدّدها ذاك الضغط الذي لا يمكن نكرانه بأن يعيق قدرتها على التنفس. الآن لم يعد ريس

بحاجة إلى تغيير أو تعديل التزامه بالعمل. بالنسبة إليه يمكن أن تعود الأمور إلى حالتها المعتادة، أما بالنسبة إلى سوريل، فإن الموت بدا لها الخيار الوحيد المقبول الآن.

سألته وهي تعبس: «هل أنا مضطرة إلى الانتقال؟ أنا بخير هنا».

- لا يجدر بك أن تلومي نفسك على ما حصل، سوريل. كيف يمكن لأي منا أن يعلم لماذا حصل ذلك؟ لعل جسدك لم يكن مستعداً لأن يتأقلم مع الحمل؟ ما تحتاجينه الآن هو أفضل عناية ورعاية، بالإضافة إلى الكثير من الراحة لتساعدك على الشفاء. وعندما تستعيدين قوتك من جديد، سوف آخذك إلى مكان دافئ وجميل. سوف نسافر لبضعة أشهر ربما؟ سوف نأخذ وقتنا كي نتعرف على بعضنا جيداً من جديد.

- أتقصد... أن ننسى أمر الطفل، وندّعي كما لو أن هذا الأمر لم يحدث أبداً؟

- أنا لم أقل ذلك!

- كان يجدر بنا أن نسير قدماً في معاملات الطلاق، ريس. كان يجدر بنا أن نفعل ذلك وننتهي من الأمر. أنت لم تكن تريد الطفل، ولم تكن تريدني فعلاً. أنت فقط شعرت بالغضب لأنني غادرت وتصرفت على طريقتي. لطالما كانت مهنتك أهم شيء بالنسبة إليك. أردت أن تحتك بأشخاص أمثال أنجلينا كورتيز، لا أن يكون لديك زوجة وطفل.

بدا كلام سوريل غير مترابط بسبب الحزن العميق، إذ راحت كل فكرة تصطدم بالأخرى، وتفسح المجال لذاك الطوفان من السخط والأذى الذي آلمها بشكل أسوأ من الألم المريع الفتاك الذي تشعر به في جسدها.

نزعت نظراتها بالقوة بعيداً عن الملامح المذهولة المرتسمة على وجهه. إن خسارة الطفل حتماً هي إشارة بأن هذا الرجل الذي اختارته

هو غير مناسب لها.

- أتظنين بأن هذا لا يؤلمني بمقدار ما يؤلمك، سوريل؟

أجبر ريس زوجته على النظر إليه، إذ كان صوته يهدد بأن ينكسر من شدة الحزن والأسى. ببطء وتردد رفعت سوريل نظراتها إليه.

- يوم أمس فقط علمتُ أنني سأصبح أباً. نعم. صدمني وقع الخبر، لن أكذب عليك بخصوص ذلك.

أجفلت عضلة تحت عين ريس، فيما تابع: «أما الآن... وبعد مرور يوم فقط... انتزع مني هذا الادراك بأقسى طريقة ممكنة. هل تظنيني مصنوع من حجر؟ لقد دمّرني ما جرى لك... ما حدث لنا».

هز رأسه ذا الشعر الأشقر بصمت معذّب، فيما تحرك متململاً بعيداً عن السرير، ثم تابع يقول: «كنت أريد طفلنا، سوريل. أردت هذه الفرصة السانحة أمامي كي أصبح زوجاً أفضل لك وأباً جيداً لطفلنا، والآن يبدو أنني خسرت كلا الفرصتين. إن ظننتِ أن مهنتي هي أهم شيء بالنسبة إلي في وقت كهذا، فأنتِ مخطئة جداً. أنا لن أتركك بكل بساطة حتى تتمرغي في أساك بمفردك، وتشعري أنك وحدك في هذا الكابوس. سوف أكون موجوداً إلى جانبك في كل خطوة من الدرب... يمكنك أن تعتمدي على هذا».

رقّ فم ريس قليلاً، فيما مشى متجهاً نحو السرير. نظر إلى سوريل بحنان، وقال: «بغض النظر عن مدى الشعور المريع الذي تحسّين به الآن... أنا أعدك بأن الأمور سوف تتحسن، حبيبتي. أنا مرتبط بهذا الزواج في السراء والضراء، ولن يغير أي شيء رأيي بخصوص ذلك. هل تفهمينني، سوريل؟».

- سيدة فيليرز... كيف حالك هذا الصباح؟

تم إنقاذ سوريل وريس عندما دخل إلى الغرفة الطبيب الذي اعتنى بسوريل ليل أمس، يرافقه طبيب آخر وممرضة. انتزع ريس نظراته بالقوة بعيداً عن نظرات زوجته المضطربة ذات العينين الزرقاوين، بينما

علم أنه عازم تماماً على أن يسير بالتحديد وفقاً لما قاله لها.

* * *

بعد مرور أسبوع، كانت سوريل قد عادت إلى المنزل من جديد. بدا بمثابة صدمة كبيرة لها أن تدرك أنها بالرغم من فقدانها لطفلها فهي ما تزال تشعر كما لو أنها حامل. أخبروها في المستشفى حيث ذهبت لتتعافى أن هورموناتها سوف تستغرق بعض الوقت لكي تستقر مجدداً وتعود إلى طبيعتها، فلا يجدر بها أن تقلق. لكن الأحاسيس التي تلت إجهاضها لم تقم سوى بتذكيرها بأن جسدها ما عاد يتهيأ ليحمل طفلها إلى الموعد المحدد. الغثيان والخمول ونوبات البكاء التي تعاني منها ذهبت كلها سدى. أما ما جعل الأمور أكثر سوءاً فهو وجود ريس غير المتوقع في المنزل. لعله قال لسوريل بعبارات واضحة تماماً إنه ينوي بالكامل أن يبقى في هذا الزواج في السراء والضراء، لكنها لم تتوقع منه فعلاً أن يأخذ فترة استراحة من العمل فقط لكي يبقى إلى جوارها. لم يبدُ أنه منزعج لأنهما بالكاد يتكلمان مع بعضهما، والسبب الأساسي لذلك هو أن سوريل كانت تتعمد أن تنسحب إلى الصمت في أي وقت يدخل فيه ريس إلى الغرفة. كان ريس بكل بساطة يسألها إذا ما كانت تحتاج إلى شيء، ويغلق النافذة منعاً لدخول تيارات الهواء، ويحضر لها المجلات أو سندويشاً أو كوباً من الشاي أو القهوة في بعض المناسبات، ثم يتركها بمفردها مع أفكارها بشرط أن تخبره على الفور إذا ما احتاجت إلى أي شيء آخر.

تساءلت سوريل كم من الوقت تُراهما قد يستمران في هذه الحالة العاطفية العميقة. توقعت في كل لحظة أن يدخل ريس إلى الغرفة فيقول لها إنه اكتفى من لعب دور الممرض، وإنه سوف يعود إلى العمل. بالطبع لن تلومه لو فعل، فهي تعلم أنها لم تكن قريبة أبداً من تقبل خسارة طفلها. لابد أن ريس يشعر كما لو أنه يعيش مع تمثال رخامي لا حياة فيه لا مع امرأة مليئة بالحيوية.

- أترغبين بالخروج قليلاً؟

اخترق أفكار سوريل صوت ريس البطيء العميق. للحظة سببت نبراته الدافئة اختلاجاً التهب في مكان ما في داخلها. لطالما أحبت سوريل صوت ريس، فهو يجعلها تتوق لأن تنحني على ذراعيه وأن تستسلم بكل بساطة إلى الأمان والدفء والقوة التي تعلم أنها ستجدهما هناك. أسقطت من يدها الستارة التي كانت قد أزاحتها لتنظر إلى الخارج، ونظرت نحو ريس بدهشة، ثم هزت كتفيها وقالت: «إلى أين؟».

أما قلبها فتسارعت ضرباته بالرغم من ضعفها لدى رؤيتها لقامته الطويلة المستقيمة، فأبدت إعجابها بصمت بسروال الجينز الأسود الذي يرتديه مع كنزة الصوف التي تتمم جسده النحيل الرشيق ذا العضلات الجميلة. لاحظت سوريل أيضاً الأضواء الكستنائية اللون تلتمع في شعره الذهبي الغامق، وفمه الأنيق الذي يلتوي في ابتسامة، فبدأت مقاومتها له تتعرض لخطر حقيقي.

- ربما يمكننا أن نتمشى في حدائق كنغستون... فقط قليلاً... هل أنت قادرة على ذلك؟

بالكاد كانت سوريل تتناول ما يكفي من الطعام منذ عودتها من المستشفى. شعر ريس بالتنبه والقلق عندما اكتشف أن زوجته خسرت المزيد من الوزن، وذلك بعد أن اكتسحتها نظراته المتفحصة كنزتها الصوفية بلون الكريما وتنورتها الكتانية البنية.

- حسناً! أنا أكاد أصاب بالجنون لمجرد بقائي في المنزل، على أي حال.

تفاجأ ريس كلياً بموافقة سوريل على الذهاب معه في نزهة سيراً على الأقدام. فهو توقع منها أن تقول له لا حالما يقدم اقتراحه، لذا كان يحضر نفسه ليواجهها.

- ربما من الأفضل أن ترتدي سروالاً من الجينز مع جزمة.

تساقطت الأمطار في الصباح، وعلى الأرجح أن هنالك الكثير من الوحول في الأرجاء.

- حسناً!

لفّت سوريل بعض خصلات الشعر الناعمة الشقراء خلف أذنها، وكادت تقدم لريس ابتسامة. كادت... لكنها لم تفعل. تبع ريس تقدمها خارج الغرفة، فأطلق تنهيدة عميقة، ثم غرق جالساً على كرسي أحمر على مقربة منه لكي يستعيد قدرته على التحمل.

٥ ــ غيرة وحرمان

- متى تنوي العودة إلى العمل؟

ركزت سوريل تحديقها على المياه الواسعة الامتداد أمامهما، حيث تجمعت أعداد من البط والأوز والبجع في مجموعات صغيرة، حريصة على الحصول على حصتها من فتات الخبز الذي يرميه لها الأطفال بسرور. دسّت سوريل يديها إلى أعماق جيبي سترتها الخضراء وحاولت أن تتحكم بموجة الكآبة التي تغمرها. لم تكن أشعة الشمس ظاهرة بوضوح اليوم، فالشمس كانت خجولة ومختبئة خلف كومة من الغيوم الرمادية. كأنما هذا المنظر يردد تماماً صدى افتقارها إلى الاشراق والبهجة في قلبها.

وصل كلاهما إلى نقطة توقفا فيها معاً. حدقا معاً نحو البحيرة، فتناهت إلى سمعهما ثرثرة الأطفال وصيحات الطيور. رفع ريس إحدى كتفيه، ونظر نحو زوجته بإيجاز فقط، كما لو أن منظر حزنها هذه الأيام يكاد يشكل عبئاً كبيراً جداً حتى على كتفيه العريضتين، فلا تقويان على حمله.

- أنا لست على عجلة من أمري لأعود إلى عملي، سوريل. لدي أشخاص يساعدونني في تدبير الأمور أثناء غيابي. سوف آخذ قدر ما تحتاجينه أنت من وقت الفراغ.

لم تبتعد نظرات سوريل عن البحيرة. ظلت بكل بساطة تحدّق كما لو أنها وأفكارها على بعد أميال.

www.elromancia.com

- ريس! لا داعي لأن تأخذ المزيد من الفرصة من عملك كي تكون معي. ما الجدوى من ذلك؟ أنا تعيسة وأنت تعيس، فكيف يساعد ذلك أياً منا؟ على الأقل لو عدتَ إلى عملك فسوف تركز اهتمامك على شيء آخر غير هذا... هذا...

أرادت سوريل أن تستخدم كلمة «الجحيم»، لكنها عادت وسحبتها في اللحظة الأخيرة، إذ أحست برحمها يتقلص مسبباً لها ألماً مفاجئاً حاداً في أعماقها.

- نحن في هذا معاً، سوريل. قلت لك ذلك من قبل. لماذا تعتقدين أنني أرغب بالتركيز على أي شيء آخر سوانا؟

- أنت لم تكن ترغب بالطفل.

- بحق السماء...! لا تستمري بقول ذلك!

كوّر ريس يديه على شكل قبضتين على جانبيه وأطبق فكه بإحكام، إذ وخزه العذاب الأليم لتأكيدها الفظ هذا. استغرق بضع ثوان كي يخمد نار الغضب التي هبت في داخله، لكنه لم يقوَ على إطفائها بالكامل. بقي الغضب يغلي على نار هادئة تحت السطح، فيما راح يقول لنفسه إن بؤس زوجته بسبب خسارة الطفل الذي كانت تحمله دفعها إلى التفوه باتهامات وقحة غير صحيحة.

- على أي حال... أظن أنه يجدر بك أن تعود إلى العمل، فأنا أيضاً بحاجة لأن أركز على أمور أخرى بدوري.

لاحظ ريس أن عيني سوريل استقرتا عليه بتوتر نوعاً ما، كما لو أنها لم تعد واثقة من موقعها منذ انفجار مزاجه الحاد. ليت بمقدوره أن يجد الكلمات المناسبة لكي يطمئنها... لكي يخبرها أنه لن يسبب لها المزيد من الألم عمداً. في تلك اللحظة بالذات تناهت إلى مسمعه أصوات الأطفال الصغار المتحمسين التي راحت ترن في ذاك النهار الربيعي البارد، ففقد قدرته على التفكير بوضوح. انحنى ريس نزولاً والتقط حصاة ثم رماها نحو المياه، فاندفعت بسرعة عبر سطح المياه

الباهتة المائلة إلى اللون الأخضر.

- ما هي الأمور التي تريدين أن تركزي عليها؟

- أنا أرغب في العودة إلى العمل، لكن ليس إلى عرض الأزياء.

أضافت سوريل جملتها الأخيرة ما إن سجلت عبوس ريس السريع الذي يدل على عدم الموافقة، ثم تابعت: «عملت على بعض تصاميم الأزياء، وتظن نينا براينت أنها جيدة جداً. ما زلت أعرف بعض الأشخاص في هذا المجال، وأعتقد أنه يمكنني أن أطلق مجموعة من الأزياء لو أعطيت الأمر كل طاقتي».

كره ريس أن يوقف اندفاعها وحماسها، كره ذلك فعلاً، لكن بنظره سوريل ليست مستعدة الآن لأن ترمي بنفسها في مهنة أخرى، هذا دعك من منح الأمر «كل طاقتها». إنها لم تمنح نفسها الوقت الكافي بعد لكي تحزن ولكي تشفى، وإذا لم ينجح مشروع تصميم الأزياء هذا، فقد ترجعها خيبة الأمل إلى الوراء أكثر فأكثر. أما المسألة الطارئة أكثر فهي الحاجة لأن يحاولا معاً إصلاح ما تخرّب في زواجهما، لكي يتمكنا من مواجهة هذه العاصفة الجديدة سوياً.

ازداد عبوس ريس أكثر، فتجعدت قليلاً بشرته الخفيفة السمرة فوق جبينه، ثم قال: «لا أظن أن الوقت مناسب الآن لكي تبدأي عملاً آخر، سوريل. أعتقد أنه يجدر بنا أن نسافر بعيداً إلى مكان ما، كما اقترحت من قبل. يمكننا أن نذهب إلى المنزل الذي يقع في آلغراف. في هذه الفترة من السنة الطقس ليس شديد الحرارة هناك. يمكننا أن نمضي الوقت سوياً وأن نسترخي».

- أنا لا أريد المزيد من الوقت لأسترخي أو لأفكر أو لأتأمل. ألا ترى ذلك؟ أنا بحاجة لأن أشغل نفسي. أنا فعلاً لا أرغب بالذهاب في عطلة، ريس. لو أردت ذلك لذهبت إلى أستراليا، ولبقيت مع والديّ. لطالما ألح علي أمي وأبي كي أفعل ذلك.

لكن سوريل لم تشعر أنها قادرة على مواجهة إحباط والديها

المحبوبين بسبب خسارتها لطفلها، وعلى التعامل مع إحباطها الخاص في آن معاً. ولم ترغب أيضاً بأن تستسلم لإلحاح شقيقتها ميلودي بأن تعود إلى سافولك وأن تقيم معها. من الأفضل أن تبقى بعيدة عن الأشخاص الذين يعبّرون عن مشاعرهم الآن بالذات، فهي لا تشعر بالقوة أو بالاستعداد لذلك.

- وماذا بشأننا نحن؟

استدار ريس ليواجهها، فاستشعرت سوريل بالتوتر يتصاعد بعناد في داخله. بدا ريس كما لو أنه موصول بفتيل قصير جداً على وشك أن يشتعل في أية لحظة الآن.

- نحن؟!

- ألا تظنين أن من المفيد لنا لو سافرنا سوياً؟ يمكننا أن نحظى بالوقت لنرتاح ونسترخي، ونتخذ بعض القرارات بشأن المستقبل.

قفز قلب سوريل. ألم يقل لها للتو إنه باق إلى جانبها في السراء والضراء؟ هل غير رأيه الآن؟

- أنا ما زلت موافقة على الطلاق، إن كان هذا ما تريده.

أحست سوريل كما لو أنها طُمرت تحت انهيار ثلجي لن تفلت من تحته أبداً.

- لن يكون هنالك أي طلاق. أخبرتك بذلك من قبل! عوضاً عن ذلك سوف أكون إلى جانبك تماماً ريثما تشفين وتتعافين، وسوف نسوي الأمور سوياً، كما كان يجدر بنا أن نفعل منذ البداية، عندما بدأ كل شيء يتداعى. هل تسمعينني؟

أجفلت سوريل لدى سماعها نبرته النكدة، ولدى رؤيتها ملامح وجهه المتجهمة. إن جل ما تفعله هذه الأيام، هو أن تجعله يستشيط غضباً. ليتها تجد كتيب تعليمات يقدم لها الحلول السريعة، ويطلعها على كيفية تخطي هذه الحالة المريعة التي تمر بها، ويمنعها من تدمير الدعم الوحيد الذي لطالما اعتمدت عليه حتى الفترة الأخيرة... وهو

حب زوجها لها.

استدارت سوريل بعيداً عن منظر البحيرة والحركة المحيطة بها، فأعادت يديها الباردتين إلى جيبها وبدأت تمشي مبتعدة.

- سوريل!

لحق ريس بها، فأوقف تقدمها بالرنّة الآمرة التي ارتبطت بصوته. درست سوريل ملامح وجهه بعينيها الزرقاوين الكئيبتين وتساءلت متى سيأتي اليوم الذي لن تشعر فيه أن جسدها وحياتها باردين بشكل لا يمكن العودة منه.

صرّ ريس بأسنانه، ثم قال: «آسف! أنا لا أحاول إغضابك... أنا فقط أحاول أن أجعلك تفهمين أنني أريد مساعدتك. أنا لم أرك أبداً محبطة إلى هذه الدرجة... أتعلمين ما يفعله بي هذا؟».

كشّرت سوريل قليلاً، وبالكاد استطاعت أن تحمل نفسها على ملاقاة عينيه. قالت: «لا عليك. أظن أنك تستحق زوجة أفضل مني ريس».

- لا تقولي ذلك.

- لم أسبب لك سوى المشاكل.

- لماذا تفعلين هذا، سوريل؟ ألا يكفي أننا عانينا بسبب ما حصل؟ هل علينا أن نعاقب نفسينا أكثر بعد؟

أراد ريس أن يخفف من توترها، فمد يده وأبعد خصلة من شعرها يرقق بعيداً عن جبينها، ثم تابع قائلاً: «لِمَ لا تدعينني أحدد موعداً مع طبيب ما أو أحد المستشارين الخاصين بحالات مماثلة كي يساعدك قليلاً؟».

لم تحمل لها الفكرة الكثير من التطمين. ابتلعت سوريل موجة جديدة من اليأس، ثم نظرت إلى عيني ريس الدافئتين القلقتين، وقالت: «أعلم أن نواياك حسنة، لكنني لست مستعدة للتحدث بهذا الشأن مع أي شخص آخر، ليس بعد».

لامس ريس فمها برفق، ثم سحب يده مظهراً ابتسامة وقال: «لا بأس بذلك، حبيبتي. عندما تصبحين مستعدة سوف تحصلين على كل المساعدة التي تحتاجينها. في هذه الأثناء أنا موجود هنا لأجلك، على مدى الأربع والعشرين ساعة... هل فهمتِ قصدي؟».

لأن ريس كان يبتسم لها، لم تقوَ سوريل على مقاومة الدفء الذي أحدثته تلك المبادرة في زوايا قلبها المتجمد. تحركت يدها نحوه باحثة عن يده. لفّت أناملها حول أنامله، ثم سمحت لقبضتها أن تشتد قليلاً، بعدئذٍ قالت: «هل يمكننا أن نسير قليلاً بعد»؟

- بالطبع... ما دمت لا تبالغين بالأمور.

أحسّ ريس بقلبه يرتفع لأول مرة منذ أيام. أدرك إلى أي حد يفتقد تلك الأمور الصغيرة الممتعة... تلك الأمور البسيطة البريئة، كأن يمسك يد زوجه الجميلة ويتمشيا معاً...

ظل ريس وسوريل ينامان في غرفتين منفصلتين، بالرغم من الهدنة التي سادت بينهما حديثاً في المنتزه. ظلت سوريل تقاوم بخجل إجراء أية أحاديث، فتنسحب وتظل وحيدة لساعات.

بعد مرور أسبوع رن جرس الهاتف في غرفة المكتب الخاصة بريس في إحدى الأمسيات. بدا ريس مسروراً فعلاً لسماع اللكنة الإسبانية الغريبة الخاصة بالجميلة أنجلينا كورتيز.

- ريس، يا عزيزي! اتصلت بمكتبك، لكنهم قالوا لي إنك في إجازة. أنا مسرورة جداً لأنني وجدتك في المنزل. آمل أنه ما زال بإمكاننا أن نتناول الغداء سوياً، كما اقترحت عليك من قبل. هل يلائمك يوم غد عند الساعة الواحدة؟ أنا ما زلت أنزل في فندق دورتشستر لذا يمكننا أن نأكل هناك. أرجوك قل إن بإمكانك الانضمام إلي؟

تذكر ريس أن سوريل رفضت اقتراحه بأن يتناولا الغداء يوم غد. فرك يده على مؤخرة عنقه حتى يرخي التوتر الذي تجمّع هناك على مرّ

الأسابيع القليلة الماضية، ثم دوّن بسرعة الموعد مع أنجلينا على مفكرته المفتوحة.

- الساعة الواحدة مناسبة تماماً، أنجلينا. أنا أتطلع قدماً حتى أراكِ يوم غد.

- هل فكرت أكثر بخصوص قبولك لعرضي بأن تنظم لي جولة أخرى؟ أنا متشوقة إلى معرفة جوابك.

لو أن الظروف مختلفة لوافق ريس على الفور على الرغم من أن العمل مع نجمة كأنجلينا يعتبر تحدياً. أما الآن بالتحديد فلم يجد في داخله أي تجاوب حماسي. إن جلّ ما يفكر به هذه الأيام هو سوريل، آملاً أن تظهر له أقل لمحة تدل على أنها ستعود إلى الحياة السابقة الطبيعية، فأحاسيسه متأثرة جداً بزوجته وبمزاجها الذي يميل إلى التوحد، لدرجة أنه يشك بقدرته على تحمل مشروع هام كالجولة الغنائية الأميركية التي تفكر بها أنجلينا.

أما ما قاله ريس لأنجلينا فهو: «سوف نتحدث عن ذلك غداً، إذا كنت لا تمانعين».

بعد أن ودعته أنجلينا مستسلمة، أعاد ريس سماعة الهاتف إلى مكانها.

تمهلت سوريل خارج باب مكتب زوجها الفسيح العصري، فتركت يدها تسقط على جانبها بدل أن تقرع الباب للدخول. ريس سوف يجتمع بأنجلينا كورتيز على الغداء يوم غد! عمّ تراهما سيتحدثان؟ تاقت سوريل لتعرف ذلك، فمنذ أن خسرت طفلها بات قلقها على علاقتها مع ريس أكثر حدة. تاقت لأن يناقشا مشاعرهما معاً، وأن تطلب منه منحها بعض الوقت، وإلا فإنه سيصبح قانطاً يائساً لأنها منطوية على ذاتها ولا تتواصل معه. كم تود أن تطلب منه ألا يبحث عن الراحة بين ذراعي امرأة غيرها... لاسيما امرأة جذابة ومليئة بالحيوية كأنجلينا كورتيز. لكن كيف يمكنها أن تبدأ بالحديث وهي

تعرف في قرارة نفسها أن ريس بدأ يسأم من تصرفاتها؟

مرّت شهور حتى الآن منذ أن جرت بينهما أية علاقة حميمة، وسوف يمر شهر بعد، فالطبيب النسائي في المستشفى أخبرها بذلك. بالإضافة إلى ذلك فإن شعورها بالرعب من فكرة استئناف أي نوع من الحميمية مع زوجها الغاضب المحبط لم يساعدها على الإطلاق. كلاهما وجها بعض الاتهامات المريعة لبعضهما البعض، كيف سيتمكنان من تجاهل الندوب التي أحدثتها تلك الاتهامات؟ كيف يمكنها أن تنظر إلى نفسها كامرأة مرغوبة جذابة مجدداً، في حين أن جسدها لم يسمح بأن تحمل طفلاً حتى انتهاء فترة الحمل؟

انفتح الباب فجأة فيما كانت سوريل واقفة هناك تفكر، فقفزت إلى الوراء مجفلة. تجمدت بنية ريس القوية في مدخل الباب، أما نظراته فبدت حذرة، كما لو أنه يتساءل ما هي المشكلة الجديدة التي ستواجهه بها زوجته الآن. سألها: «ما الأمر؟».

- أنا... أنا أظن أنني أرغب في الخروج... لنتناول الغداء سوياً.

نظرت سوريل نزولاً نحو أظافرها غير المطلية، إذ وجدت من الصعب أن تلاقي نظرات ريس المباشرة الحارقة المتفحصة. ريس ينوي أن يلتقي بأنجلينا يوم غد، فهل تراه سيختار نجمة الأوبرا الحامية بدلاً من زوجته الحزينة المحبطة؟

- ما الذي جعلك تغيرين رأيك؟

- أنا... أنا...

هزت سوريل أحد كتفيها، فوجدت نفسها غير قادرة على الكذب. لذا قالت: «سمعتك للتو تتكلم عبر الهاتف. سوف تقابل أنجلينا كورتيز، أليس كذلك؟».

- اللعنة سوريل! فقط قولي لي ما الذي تتلاعبين به؟ هل ساءت الأمور إلى درجة أنك مضطرة إلى أن تصغي إلى مكالماتي الهاتفية؟

اعترضت سوريل قائلة: «أنا سمعت فقط عن طريق الصدفة».

كشفت عيناها الزرقاوان الأذى الذي شعرت به لأن ريس اعتقد أنها تعمدت أن تفعل شيئاً كهذا.

- إذاً، بما أنك تعرفين أنني وافقت للتو على مقابلة أنجلينا، فلماذا تقولين الآن إنك تريدين الذهاب لتناول الغداء معي؟

- أهو غداء متعلق بالعمل؟

قست ملامح ريس، فطغت عليها خيبة الأمل وعدم التصديق التام.

- إنه غداء عمل بالتأكيد! ما الذي توحين به، سوريل... بأنني على علاقة غرامية مع المرأة؟

جفّ فم سوريل، وسألته: «هل أنت كذلك؟».

ارتعشت شفتاها قليلاً، ثم جذبت يديها وشبكتهما فوق قفصها الصدري تحت كنزتها.

- لا! أنا لست على علاقة غرامية معها.

أسند ريس أحد كتفيه على إطار الباب، ولم يزعج نفسه بإخفاء كدره. فجأة انحنت سوريل لكي يمسك بها ريس. أرادت أن تطمر وجهها في صدره العريض. تملكتها حاجة ماسة لأن تشمّ رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يستخدمه، تلك الرائحة المتمازجة مع رائحته الخاصة الرائعة. أرادت أن تشعر بريس وهو يدسّ أنامله عبر خصلات شعرها الأشقر الطويل الناعم، ثم يرفع وجهها نحو وجهه من أجل الحصول على عناق عميق... عناق قد يطمئنها بأنه ما يزال يحبها. آه! كم هي مشتاقة إلى قربه!

لكن ما إن تابعت سوريل مراقبته، حتى أدركت أنه يبتعد عنها ذهنياً عوضاً عن أن يشاركها حاجتها لأن تكون أقرب إليه. فقط لو كان بمقدورها أن تجد الجرأة في داخلها كي تخبره أنها آسفة على كل شيء، وأنها مدركة بأنها تسببت في ابتعادهما أكثر فأكثر عن بعضهما، وأنه ليس الوحيد المُلام... كم تاقت لأن تشاركه في حزنها على

الطفل. أرادت أن تعترف له بأنه لطالما كانت لديها رغبة سرية في أن تحمل طفله، لكنها تراجعت عن الإقرار بذلك له خشية أن يخبرها ريس وجهاً لوجه أنه قطعاً لا يريد الأطفال. أدركت غريزياً أن الأطفال ليسوا من ضمن اهتمامات ريس بالتحديد، على العكس مما هم بالنسبة إليها، لذا خشيت كثيراً أن تسمعه يقول لها الكلمات التي تخاف من سماعها.

لكن كيف يفترض بها أن تخبره بكل هذه الأمور الآن، في حين أنها ما عادت تعرف حتى إن كان ما يزال يحبها أصلاً؟ منذ بضعة أسابيع فقط كان ينوي أن يطلقها، ولم يتراجع عن تلك النية إلا حين علم أنها حامل.

- إذاً، أنجلينا تفكر في القيام بجولة أخرى، أليست كذلك؟

شبكت سوريل ذراعيها أمام صدرها، فيما حاولت أن تبقي نبرتها عادية..

استقام ريس في وقفته حيث كان يستند إلى إطار الباب.

- أنت لست مهتمة بعملي، سوريل. لم تكوني كذلك مطلقاً، لذا لا تبدأي الادعاء بذلك الآن. إذا كنت فعلاً تريدين الذهاب لتناول الغداء يوم غد فسوف ألغي لقائي مع أنجلينا. بالطبع سأفعل. لكن إذا كنت تقولين ذلك فقط لأن فكرة سخيفة مفادها أنني على علاقة غرامية بها قد ساورتك، فانسي الأمر. سوف أعمل حتى وقت متأخر هذه الليلة، لذا اذهبي إلى النوم الآن وسأراك في الصباح.

انسحب إلى الغرفة خلفه، ولم يتردد في أن يغلق الباب بوجه سوريل.

* * *

نهضت سوريل عند الساعة الثالثة صباحاً. أرادت أن تشرب كوباً من الماء وتتناول حبة دواء مسكن لألم الرأس. عبرت أرض المطبخ وهي حافية القدمين فيما راح منزرها الحريري يرفرف مفتوحاً فوق رداء

نومها ذي السروال القصير. توجهت على الفور نحو المجلى.

أدركت أن ألم رأسها ازداد لأن ذهنها لا يستطيع الكف عن التفكير. أخذ الماضي والحاضر والمستقبل يتشابكون سوياً في ضباب غير واضح، ما سبب ضغطاً على ذهنها المرهف. إلا أن حزن الحاضر تفوق بقوة على سعادة الماضي البعيد.

ملأت سوريل كوباً بالماء من صنبور المياه، ووقفت جامدة في مكانها. سرح ذهنها نحو منزلهما في آلغراف في البرتغال، وهو مكان امتلكه ريس قبل فترة طويلة من تعرفه على سوريل، لكنه غيّر ديكوره الداخلي حسب ذوقها مباشرة بعد زواجهما. إنه مبنى أنيق قديم كان فيما مضى مزرعة، إلا أن ريس استقدم بعض المصممين من إيطاليا كي يعيدوا تصميم المنزل من الداخل.

تذكرت سوريل الأسابيع الثلاثة المميزة التي أمضتها برفقة ريس هناك في الصيف ما قبل الماضي؛ بالكاد فارقا غرفة نومهما، إلا ليأكلا أو يستحما، أو يتجولا في أرجاء الشوارع الصغيرة الساحرة في البلدة المجاورة، وهما يمسكان بأيدي بعضهما ويبتهجان بأي شيء وبكل شيء تلاقيه أنظارهما. يومها كانا مغرومين جداً وسعيدين ببعضهما. أما الآن وبعد مرور ما يزيد عن السنة على تلك الفترة... تساءلت سوريل لماذا انزاح ذلك الشعور بشكل ما بعيداً عنهما؟

- ظننت أنني سمعت صوتاً ما هنا في الأسفل. هل كل شيء على مايرام؟

فوجئت سوريل بالصوت، فاستدارت حول نفسها لترى أن ريس دخل إلى المطبخ. لم يكن يلبس سوى سروال بيجامة نومه الحريري الأسود. ظهر فوقه صدره ذي العضلات القوية، الذي يتمتع بتقاسيم تامة. كادت سوريل تنسى أن ريس جميل ووسيم البنية. حدقت به بكل بساطة، ولم تقوَ على منع نفسها.

- أردت فقط تناول حبة الدواء المسكن لآلام الرأس.

- آه!

القلق الذي أومض على وجه ريس بدا عميقاً وفورياً. تقدم ريس نحو سوريل بتلك المشية البطيئة الجذابة بشكل لا إرادي، ما اختطف الأنفاس تماماً من رئتيها.

لا يمكن لأية امرأة أن تبدو بمنتهى الروعة والجمال كما تبدو سوريل عندما تستيقظ من نومها في منتصف الليل. حتى عندما تكبر زوجته في السن فهي سوف تبقى متمتعة بجمال كلاسيكي حقيقي. فكر ريس بذلك في سره وهو يراقبها. كان وجه سوريل ممسوحاً لا يظهر عليه أي أثر للتبرج، أما عيناها فناعستان، فيما بدا شعرها الأشقر أشعث من الجهة التي ألقت بها رأسها على الوسادة. بالرغم من ذلك كله بدا منظر زوجته الجميلة الشابة ساحراً. تحركت الدماء في عروق ريس لمجرد رؤية سوريل واقفة هناك في ثياب نومها. لطالما وُجدت تلك الجاذبية الجسدية الكيميائية بينهما منذ اللحظة الأولى. بمجرد أن ينظر إلى سوريل تشتعل نظراتها متجاوبة معه، وقبل أن ينطقا بكلمة واحدة حتى، كانا يتعانقان ويغرقا معاً في علاقة حميمة خلال لحظات.

بدأ الشغف والتوق العميقان يدوران على شكل دوامة في أعماقه في تلك اللحظة بالذات. بدا الأمر أشبه برياح صحراوية حارقة لاذعة، ما أيقظه ونبّهه إلى توق وحشي جعله يرتعد كي يسيطر عليه ويحتويه. كان ريس ممزقاً قبل قليل بين شعوره بالسخط لأنها كانت تصغي إلى مكالماته الهاتفية - عرضاً أم لا- وبين شعوره بالأمل لأنها عبّرت له عن إحساس آخر تجاهه غير الكراهية واليأس. أدرك أن سوريل تشعر بالغيرة لأنه سوف يقابل أنجلينا كورتيز على الغداء. ذلك لابد أن يعني أنها ما تزال تشعر بشيء ما حياله غير الازدراء.

اقترح ريس قائلاً: «ربما سيساعدك تدليك لطيف؟».

بدت الفكرة سماوية رائعة، لكنها أيضاً مرعبة. أغلقت سوريل

مئزرها خجلة، وشدت الحزام الحريري جيداً حول خصرها. إن زوجها الرائع الجذاب قريب جداً منها، وهو أمر لا تستطيع أحاسيسها تقبله بخفة. إنها بحاجة لأن تكون مسلحة جيداً ضد جاذبيته الصارخة، لأنها تذكرت إلى أين كانت تدليكات ريس تؤدي بهما عادة. هذا لا يعني أنها قد تؤدي إلى أي مكان قريب هذا اليوم، فجسدها ما يزال يشفى ويتعافى مما ألمّ به... ليس فقط جسدها بل قلبها أيضاً، وكذلك ذهنها وروحها.

- سوريل!

أدركت سوريل أنها لم تجبه بعد، لأنها ما زالت عالقة في تأثير سحره لدرجة أنها نسيت أن تتكلم.

اتجهت عيناها الزرقاوان معتذرتين نحو وجه ريس، فتذكرت الإحساس بلمسات يديه، وتاقت لأن تختبرها مجدداً.

- لا... أنا على ما يرام. سوف أكتفي بتناول حبوب الدواء المسكن. إنه ليس أمراً يستحق أن نثير جلبة بخصوصه... حقاً.

- أنت لا تريدينني أن ألمسك... أهذا هو الأمر؟

٦ ــ خطوة نحو السلام

حمل صوت ريس تياراً من الغضب والاحباط، أما سوريل فقاومت موجة من الشعور بالذنب جاشت في داخلها.

- إنه... إن الوقت ما يزال مبكراً، ريس.

حاولت سوريل ألا تسمح لنظراتها النهمة أن تغوص إلى أعمق، فرفعت خصلة من الشعر الأشقر المجعد عن قفا عنقها ثم تركتها تسقط من جديد. لا يمكنها أن تنكر بأن قربه الغامر منها بدأ يؤثر عليها...

- نعم... صحيح.

تكلمت سوريل بصوت خافت كاد يصير همساً وهي تقول: «أنا... أنا ما زلت أتعافى، ريس».

وجه لها ريس نظرة كسولة جذابة صدمتها مباشرة في صدرها. وقال: «أنا لا أقترح عليك إقامة علاقة حميمة، يا ملاكي».

التقط إحدى خصلات شعرها المجعدة بين أنامله، ثم حدق بها للحظة كما لو أنه يتفحص عملاً فنياً أصيلاً، وقال: «الحقيقة يا سوريل... أنني أكاد أجن لعدم تمكني من لمسك».

- أنا أيضاً أفتقد إلى ملامستك.

أفلت ريس خصلة الشعر التي التقطها، ثم راقبها تقفز من يده لتستقر على كتف سوريل. وضع يده خلف عنق سوريل الجميل وهو يحبس أنفاسه، وحرّك أنامله صعوداً ونزولاً بمداعبات رقيقة صغيرة، فراقب لون عيني سوريل يصبح كلون الدخان الأزرق عوضاً عن اللون

الأزرق السماوي. لطالما كانت سوريل متجاوبة معه، ولطالما أحب هو أحب ذلك. يا إلهي! كم يفتقد إليها!

- ريس!

- ما الأمر، يا صغيرتي؟

لم يبد صوت ريس ثابتاً تماماً. بدا كأنه يخونه ويظهر الحاجة التي تصاعدت وتجمعت في داخله كالعاصفة الصيفية. قبل أن تتمكن سوريل من الرد، أطبقت يداه على كتفيها بحزم، وجذبها مباشرة نحوه.

أطلقت سوريل شهقة ناعمة متفاجئة لامسته كالريشة. تحركت يدا ريس فاستقرتا حول خصرها النحيل الرائع. تحرك عبير سوريل نحو ريس، ذلك العبير الذي لا يمكن حصره في زجاجة عطر، فأغرقه بموجة من الإحساس جعل التوتر يتنامى في داخله بثبات.

سجلت سوريل تأثر زوجها بها ما إن تلامس جسداهما. لفتها دوامة من التوق والأمل تسللت إلى داخلها فأغرقتها، وتمنت لو أن بإمكانهما أن يستعيدا علاقتهما القديمة في أقرب وقت ممكن. أما تجاوبها معه فملأ أعماقها كما لو أنه وميض البرق المتوهج.

- لا يمكننا... أعني أنا...

تراجعت سوريل منسحبة بتوتر من حلقة عناقه الذي يربطها كالسحر وهي تتكلم، وأخيراً انسحبت تماماً وتحررت منه، عارضة عليه ابتسامة اعتذار مرتعشة، بينما أصبح خداها متوهجين.

فسّرت له سوريل بصوت مبحوح: «إنه... ما يزال الوقت مبكراً جداً».

ابتلع ريس توقه إليها، وصدّ إحباطه الحاد.

- كم يفترض بي أن أنتظر قبل أن تلاقيني في وسط الدرب، سوريل؟

اختفت ابتسامة سوريل، وحل مكانها بوضوح ذاك التجعيد

المألوف بين حاجبيها، والذي يظهر عندما تكون مرتبكة بخصوص شيء ما.

- سوف يتطلب الأمر بعض الوقت بالنسبة إلي حتى أتخطى ما حصل لي، ريس... فضلاً عما يحصل بيننا نحن كزوجين. أنت... نحن بكل بساطة علينا أن نكون صبورين.

علم ريس أنه بحاجة إلى مصارعة إحباطه لكي يخضعه، هذا إذا كانا سيصلان إلى أي مكان بعلاقتهما. لكن بالرغم من ذلك لم يقوَ على ردع نفاد الصبر الذي نهض بقوة في داخله. جل ما أراد أن يفعله هو أن يحتضنها بين ذراعيه ويقربها منه، بحق الله! لماذا تراها تجعل من الصعب عليه أن يتواصل معها وأن يتقرب منها؟

- حسناً، حبيبتي...! أخشى أننا لو أطلنا الانتظار كثيراً لنحاول إنقاذ الأمور بيننا، فنحن قد نخسر هذه الفرصة إلى الأبد. هل أنت مستعدة للمجازفة بذلك؟ أصبحتِ باردة جداً، سوريل. ليست فقط خسارة الطفل هي التي جعلتك على هذا النحو. أظنك نسيت كيف تتصرفين كامرأة حية حامية الدماء وأنت بالقرب من رجل. وأظنه... أمراً مخزياً يدعو للأسف.

كلمات ريس جعلت قلب سوريل يغوص كما أن كلامه أكدّ لها مخاوفها بأنها ما عادت امرأة جذابة مرغوبة ومحبوبة، ما أصابها مباشرة في قلب أعماق أنوثتها. بالرغم من أن سوريل كرهت نفسها على ذلك، لكن جل ما استطاعت أن تفعله هو أن تشعر بالإهانة.

- إياك أن تكلمني عن البرود فأنت من كان ينوي أن يطلقني. أتذكر؟ كنت مستعداً للسير بالأمر حتى النهاية لو لم تدرك أنني حامل، لذا لا تتوقع مني أن أتصرف كما لو أنني ممتنة أو ما شابه لأنك استعدتني. أنا لا أدين لك بأي شيء.

تصلب فك ريس، ما جعل سوريل تلجم أي توبيخ تالٍ. مشى مبتعداً عنها وهو يقذف يديه عبر الهواء دلالة على شعوره بالقرف:

«اللعنة، سوريل! لتذهبي إلى الجحيم أنت أيضاً!».

بعد مرور عدة لحظات فقط غادر الغرفة من دون أن يضيف شيئاً.

* * *

وجدت سوريل لنفسها مقعداً، وجلست في غرفة الانتظار في وكالة عرض الأزياء، حيث عملت على مر السنوات الماضية. بعد أن رفضت كوب القهوة الذي عُرِض عليها عند وصولها، حملت مجلة عن الطاولة الزجاجية الصغيرة أمامها، وبدأت تقلّب صفحاتها بتمهل.

علمت أنه من غير المجدي أن تطلع وكيلة أعمالها جيني بأنها متوفرة للعمل، في حين أنها بالكاد تتعافى من حالة الإجهاض. لكن حاجتها لأن تخرج من المنزل وأن تبتعد عن الأجواء الفاسدة بينها وبين ريس أجبراها على أن تفعل شيئاً بنّاء، لذلك اتصلت اليوم بجيني وحددت لنفسها موعداً تطل من خلاله على العمل، وذلك بعد أن غادر ريس لمقابلة أنجلينا كورتيز على الغداء. اختارت سوريل القيام بذلك عوضاً عن العمل على تصاميم الأزياء الخاصة بها، لأنها فجأة وجدت نفسها غير مهتمة بالعمل فيها. إن عادت لتعمل بدوام كامل فلربما توقظ اهتمامها بعرض الأزياء مجدداً. لن تتسرع هذه المرة في رفض عروض العمل المرموقة التي سوف تأخذها إلى مواقع الموضة العالمية الهامة، وسوف تفكر أنها محظوظة لحصولها على هذه الفرصة. إن منحت فرصة لنفسها في مهنتها بمثل التكريس والالتزام اللذين يطبقهما ريس على عمله، فذلك قد يخدم هدفين مزدوجين: من جهة سوف يساعدها عملها على الخروج من الإحباط المربع الذي يأسرها، ومن جهة أخرى، قد تكسب إعجاب ريس لأنها على الأقل تحاول أن تفعل شيئاً إيجابياً لنفسها.

إن تمكنت من استعادة تقديرها لنفسها، لربما ستحظى وريس بفرصة للعمل على تصحيح الأمور بينهما. وإن استطاعت أن تبرهن لزوجها أنها ما زالت جذابة بما فيه الكفاية لتعمل عارضة أزياء، فهي

تأمل بأن يرى أنها ما تزال تلك الفتاة الجذابة التي تزوج بها.

ما كان يجدر بها أن تدفعه بعيداً عنها كما فعلت في المطبخ ليل أمس. إنها نادمة على اتهامها له بأنه فقط رغب في البقاء معها لأنه اكتشف أمر حملها، لاسيما أن ريس قام بعدة خطوات من قبل لمحاولة إصلاح علاقتهما. هل يمكنها أن تجد في داخلها القوة التي تحتاجها لكي تنهض فوق الدمار الذي أصابها؟ هل هي قادرة على استعادة حب زوجها وإعجابه لو فعلت ذلك؟ يا إلهي! عليها أن تحاول على الأقل. إن كل ما أرادت أن تفعله هو إنشاء عائلة مع ريس، وتربية أطفالهما سوياً. في الوقت الراهن عليها أن تضحي بتلك الحاجة وأن تعود إلى عرض الأزياء، إن كان ذلك يعني أن زواجها بريس سوف يحظى بفرصة للنجاح...

- سوريل، عزيزتي! ادخلي! آسفة لأنني أبقيتك منتظرة. هل تناولتِ كوباً من القهوة؟

أطلت من خلف الباب امرأة جذابة في متوسط العمر، ترتدي سروالاً أسود مع سترة ملائمة، فأشارت لسوريل بالدخول من بين العارضتين الأخريين اللتين جلستا في الغرفة.

- أنا لا أرغب بالقهوة، شكراً.

دخلت سوريل إلى المكتب الجميل التصميم. جذبت الكرسي المقابل لمكتب جيني العريض، وجلست. شبكت رجليها الطويلتين النحيلتين، وثنت ذراعيها بتوتر في حضنها فوق تنورتها القطنية الزرقاء والبيضاء. لاقت سوريل النظرات العسلية غير المطمئنة للمرأة التي عرفتها منذ ما يزيد عن السبع سنوات. ليس هناك ما يمكن إخفاؤه عن جين تايلور. إن رغب المرء في إخفاء أي شيء، فالمرأة حتماً قادرة على استخراجه من جذوره. ثقة سوريل المتقلقلة بنفسها غاصت بشكل ملحوظ، عندما أدركت أن المرأة الأكبر سناً سوف تعرف على الأرجح أن شيئاً ما ليس على ما يرام. تساءلت هل ستسحق

محاولتها، حتى قبل أن تحظى بفرصة لتحقيق ذلك؟

- حصل شيء ما، بالتأكيد.

عبست المرأة الأخرى، وهي تحرك بلا اهتمام كوب القهوة السوداء الخاص بها بواسطة ملعقة فضية صغيرة، من دون أن تزيح نظراتها العارفة عن وجه سوريل ولو للحظة. ابتسمت سوريل وهي تطبق يديها في حضنها بحزم أكبر. قالت: «ما الذي تقصدينه؟».

- أنت تبدين مختلفة قليلاً، وهذا لا يعجبني. كما فقدت بعض الوزن، أيضاً. هل كل شيء على ما يرام بينكما أنت وزوجك الرائع ذاك؟

لابد أن المرأة تتمتع بحدس قوي. تلاشت الابتسامة عن شفتي سوريل. أقرت قائلة: «واجهنا... بعض المشاكل».

فيما صلّت بألاّ تتطفل جيني أكثر من ذلك.

- إنه لا يتواجد في المنزل كثيراً. أليس كذلك؟

- إنه موجود في هذه الفترة.

حلّت سوريل رجليها المتشابكتين، ثم ألقت إحدى يديها على المكتب أمامها وقد تجعّد جبينها قليلاً، وقالت: «أنا لا أرغب فعلاً بالتحدث عني وعن ريس، إذا كنتِ لا تمانعين، جيني! ما آمله هو أن يكون لديك عمل ما لأجلي؟».

- عزيزتي! لدي عرضان تقريباً هما في الحالات العادية مناسبان تماماً لك. أحدهما هو عقد عمل ضخم في مجال مواد التبرج، لكنني لن أرشحك له وأنا أرى بوضوح أنك لست على ما يرام.

أخذت جيني رشفة من مشروبها، فيما نظرت إلى سوريل لتدرس ملامحها بفضول من فوق حافة كوبها.

تابعت سوريل العبوس، فيما أحست بخديها يتوردان باللون القرمزي الدال على الذنب. قالت: «ما الذي قصدته بقولك إنك ترين بوضوح أنني لست على ما يرام؟».

- لطالما كنت كالكتاب المغلق نوعاً ما حبيبتي، ولا بأس بذلك عندي. الجميع يستحقون بعض الخصوصية. لكنني لم أبلغ هذه السن... إذ صرت في الحادية والخمسين من عمري، من دون أن أكتسب قليلاً من الحكمة في ما يتعلق بقراءة الناس. هنالك شيء ما يجري معك، وهو يسبب لي القلق. إذا كنت تواجهين المشاكل في زواجك، فأنت بحاجة لأن تجعلي ذلك في رأس قائمة أولوياتك. هناك عدد كبير جداً من النساء اللواتي يضحين بعلاقاتهنّ الغرامية لأجل مهنتهنّ هذه الأيام، والله يعلم إنني أرى ما يكفي من نتائج ذلك هنا بالذات. عودي إلى منزلك، سوريل. خذي حماماً طويلاً ساخناً، ارتدي شيئاً جميلاً. وإذا كان زوجك في المنزل كما تقولين، أضيئي بضعة شموع، واطلبي عشاء فاخراً ثم اجلسا بحميمية سوياً على الأريكة. ذلك من شأنه أن يفيدك أكثر من القدوم إلى العمل وأنت تبدين كالأموات.

نهضت سوريل على الفور على قدميها. لم يكن هنالك من جدوى في الدفاع عن قضيتها في حين أنها تعلم في داخلها بأنها ليست فعلاً مستعدة للعودة إلى العمل... ليس بعد. لكنها على الأقل حاولت... على الأقل قامت بخطوة صغيرة نحو محاولة الشفاء والتحسّن. هناك حقيقة كبرى في ما قالته لها جيني، على الرغم من أنها تعتقد أن ريس سوف يسخر من الشموع والجلوس الحميم على الأريكة، لأنها تصرفت ببرودة تجاهه في الفترة الأخيرة.

الآن بالذات ريس يتناول الغداء مع إحدى أجمل النساء وأكثرهن مرحاً على الإطلاق. أما عودته إلى المنزل... إلى زوجته فستكون أشبه بالعودة إلى قبو مظلم بارد، لاسيما بعد أن يمضي غالبية النهار تحت أشعة الشمس الباهرة. جيني محقة أيضاً بشأن مظهرها، فوجه سوريل ما يزال يحمل أسى خسارتها الأخيرة، كذلك فهي لم تتناول سوى القليل جداً من الطعام، لذا فمن المثير للتعجب أنها ما تزال

واقفة على قدميها. يجدر بها فعلاً أن تقوم بمجهود أكبر كي تأكل بشكل أفضل. هل تعتقد فعلاً أن ريس سوف يعجب بها لو صارت تشبه كيساً من العظام لشدة هزالها؟

قبضت سوريل على حقيبة يدها الزرقاء وألصقتها بصدرها، ثم تدبرت وضع ابتسامة على شفتيها، وقالت: «أنت امرأة حكيمة جيني. الحقيقة هي أنني لم أكن على ما يرام مؤخراً، وما كان يجدر بي أن أهدر وقتك. أنا آسفة».

نهضت المرأة الأكبر سناً على قدميها أيضاً. مشت حول المكتب، ثم وضعت ذراعها حول كتفي سوريل وشدتها قليلاً وهي تقول: «يؤسفني سماع ذلك، حبيبتي. أريد أن أؤكد لك أن رفضي لك الآن بالذات لا يعني أنني لا أريدك أن تعودي إلى العمل لدي. أنا لست مضطرة إلى تحديد اسم الشخص الذي سيقوم بذاك العرض الهام الذي أخبرتك عنه قبل ستة أسابيع، وأنت سوف تكونين مناسبة تماماً لهذا العمل. اذهبي الآن إلى المنزل، وحاولي حلّ ما لا يسير بشكل جيد، ثم اتصلي بي هاتفياً بعد مرور شهر، وسوف نتحدث من جديد».

- حسناً!

- في هذه الأثناء، لِمَ لا تأخذين إجازة وتسافرين؟ تنزهي تحت أشعة الشمس. لعل ذلك يفيدك كثيراً.

غادرت سوريل مكاتب وكالة عرض الأزياء ونصيحة جيني المبهجة ترنُّ في أذنيها. خطت نحو وهج الشمس المفاجئ الذي يسطع على شارع كينغز المكتظ. شعرت أن معنوياتها ترتفع بالرغم من كل شيء، فعقدت العزم على أن تقوم بخطوات إضافية نحو شفائها، بدل أن تعود إلى المنزل الفارغ. لذلك قررت أن تبقى لتتسكع في أرجاء المكان لبعض الوقت وربما تتسوق قليلاً. لن تبالغ بذلك لأنها ما تزال تعاني من الإرهاق بعد الأزمة التي تعرضت لها، وقد نصحها الطبيب بحزم أن تأخذ الأمور بروية. لم تجد سوريل نفسها مهتمة بهدر الوقت

الثمين في التنقيب في متاجر الملابس، بل فضلت أن تبحث عن متجر صغير للكتب، اعتادت أن تجد فيه أروع الكتب المتعلقة بمواضيع التاريخ والموسيقى، وهي المواضيع المفضلة للقراءة عند ريس...

كان ريس قد أصيب بالهلع في بادئ الأمر عندما وصل إلى المنزل فوجده خالياً. حمل قلبه بين يديه، فتسلق الدرج متخطياً كل درجتين سوياً، وصعد إلى غرفة نوم سوريل ففتح أبواب خزانة ملابسها بقوة. وجد ملابسها غير مبعثرة، أما حقيبة ملابسها ففارغة، فيما توزعت أدوات الزينة ومستحضرات التبرج على طول المنضدة الرخامية في الحمام. عندئذٍ سمح لنفسه أن يتنفس بسهولة أكثر. لبضع دقائق مزعجة ظن أن الأسوأ قد حصل. ظن أن سوريل هجرته مجدداً، لكن هذه المرة إلى الأبد. لم تكن تريده أن يذهب لتناول الغداء مع أنجلينا، لكن بعد الكلمات الغاضبة التي قذفاها باتجاه بعضهما البعض في منتصف الليل، لم يشعر برغبة في تهدئتها. قال ريس لنفسه إن العمل هو العمل، ولا يمكن أن تقف الحياة وتتجمد فقط لأنهما عانيا من هذه المأساة أو لأن سوريل تشعر بالريبة خشية أن يكون هناك شيء ما بينه وبين نجمة الأوبرا.

لا يعقل أن تكون قد ابتعدت كثيراً. لعلها بكل بساطة شعرت بحاجة إلى استنشاق بعض الهواء النقي فذهبت لتتمشى في المنتزه بالقرب من منزلهما. قرر ريس أن يمنحها ساعة أخرى، وإذا لم يظهر لها أي أثر فسوف يذهب للبحث عنها.

فجأة أحس أن طاقته قد استنزفت، فخلع حذاءه وسقط على السرير الفخم الذي ما عادا يتشاركان فيه. وضع ذراعه خلف رأسه، واستلقى هناك لبضع دقائق يحدق بالسقف فقط.

انسكبت أشعة الشمس من خلال النوافذ الزجاجية الضخمة، فجعلت أحد جدران الغرفة يشع بنور مخدّر جعله يشعر بالنعاس. أخيراً، بعدما تعب من التفكير استدار على أحد جانبيه، واستنشق

الرائحة المألوفة التي تستخدمها سوريل والتي بقيت على الوسائد، ثم أغمض عينيه واستسلم للنوم.

وقفت سوريل في مدخل الباب المؤدي إلى غرفة نومها. وضعت من يدها الكيس الذي حملته من متجر الكتب، ثم حدقت متجمدة نحو جسد زوجها الغافي الممدد على السرير. صدمتها موجة من الأحاسيس الشديدة القوة، حتى إن كامل جسدها بدأ يرتعش. أحست أن حبها لريس أغرقها بتوق يكاد لا يحتمل، فيما راقبته وهو نائم مغمض العينين، وقد بدا شعره مشعثاً كشعر ولد صغير.

إنه رجل وسيم قد تشعر أية امرأة بالابتهاج حين تعود إلى المنزل، فتجده هناك بهذه الوضعية. فكرت سوريل، لو أن بمقدور ريس أن يصغي إليها جيداً، فسيستطيعان التوصل إلى تسوية بخصوص أسلوب عيشهما في المستقبل. لو أن بمقدوره أن يرى منافع الحياة العائلية، فقد يتروى ويدعهما يحاولان إنجاب طفل آخر... لكن كيف يمكن لذلك أن يحصل إذا كان قد توقف عن حبها.

قفز قلب سوريل حين فتح ريس فجأة عينيه وحدّق بها. سألها بصوت ناعس: «أين كنتِ؟».

- كنت بحاجة إلى الخروج من المنزل.

لفحت الحرارة وجنتي سوريل. تلاعبت أناملها بأحد أزرار سترتها ذات اللون الأزرق الفاتح... إنها ما تزال شديدة الحساسية وسريعة التأثر أمام هذا الرجل. لكن وسامة ريس وقوته وجاذبيته جعلت سوريل تقف في مكانها مجفلة.

- ذهبت في نزهة صغيرة، وقمت بالقليل من التسوق.

- آه! آمل أنك لم تبالغي، فأنت تعلمين أنه ما زال عليك أن تتوخي الحذر لبعض الوقت.

قال ريس ذلك وهو يتحرك ليجلس على السرير، ثم جذب رجليه نحو صدره وشبك ذراعيه حولهما.

- أعلم ذلك. كيف جرت الأمور على الغداء؟

قالت سوريل لنفسها إنها فقط تجري معه حديثاً، وليست تنقب عن معلومات حول ما تكلما عنه هو وأنجلينا. إنه موضوع مرير، وهي فعلاً لا ترغب بفتحه مجدداً ولا تود أن تزيد الأمور سوءاً.

- جرت على ما يرام.

نظراته المسترخية إكتسحت سوريل بشكل قوي صعوداً ونزولاً، فلاحظ مظهرها باهتمام حميم لم يزعج نفسه بإخفائه. كانت سوريل قد أبدت عناية زائدة اليوم بملابسها لأنها ذاهبة للقاء وكيلة أعمالها. فعوضاً عن ملابسها العادية، ارتدت تنورة بيضاء وزرقاء قطنية طويلة مع قميص أنيقة بيضاء، بالإضافة إلى سترة ملائمة ذات لون أزرق سماوي.

علمت أنها تبدو أجمل وأفضل مما بدت عليه منذ أيام، فشعرها الطويل الأشقر انسدل حراً على ظهرها، كما تزينت أذناها بحلقتين من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة.

علق ريس مبتسماً: «تبدين كالصيف. هل هنالك من سبب دفعك إلى التأنق الكامل؟».

أحست سوريل بالذنب لأنها ذهبت لتقابل وكيلة أعمالها من غير أن تذكر ذلك لريس، فتجنّبت بحذر نظراته، وقالت: «أنا فقط... رغبت أن أبهج نفسي قليلاً... هذا كل ما في الأمر».

- إنها فكرة جيدة. أترغبين بالقدوم إلى هنا لتتحدث قليلاً؟

دعاها ريس وهو يربت على الفسحة المتوفرة على السرير إلى جانبه.

غمرتها دعوته ذات الصوت الناعم الرقيق، لذا شعرت سوريل بالهلع. عوضاً عن ذلك مدت يدها وتناولت الكيس الذي أحضرته من متجر الكتب، والذي تركته على الأرض، ثم قالت بسرعة: «اشتريت لك شيئاً ما».

بينما ازداد اللون على وجنتيها عمقاً.

أخذ ريس الكيس منها، فوضعه على أحد جانبيه، ثم أمسك بيدها بسرعة قبل أن تبتعد عنه، ووعدها قائلاً: «سوف أنظر إليه لاحقاً».

جذب يدها قليلاً، ولم يمنحها أي خيار سوى أن تستسلم لاقتراحه وأن تنضم إليه على السرير.

سألته سوريل بتوتر، وهي تحشر خصلة شعر مجعدة شقراء كلون العسل خلف أذنها: «ما الذي... ما الذي ترغب بأن نتكلم عنه؟».

فكر ريس أنه بكل بساطة سيجلس هناك لبرهة ويتأمل سوريل. لم يكن يكذب عندما قال لها إنها تبدو كالصيف. هل من شيء أفضل من أن يستيقظ الرجل من نومه ليجد صورة للروعة أمامه مباشرة؟ تكلم بتكاسل وتباطؤ وهو يداعب بأنامله فكها الناعم، إذ قال: «أي شيء... كل شيء».

غامرت سوريل تسأله: «هل ستسافر من جديد قريباً، ريس؟».

أما نظراتها بدت مشدودة قليلاً.

- ما الذي تقصدينه؟

- لا بد أنك ناقشت أمور العمل مع أنجلينا. هل ستقوم أنت بالترويج لجولتها التالية؟

الحقيقة هي أن ريس لم يرتبط بأي شيء مماثل... ليس بعد، على أي حال. أخبر أنجلينا أنه سوف يفكر بالأمر ويعلمها لاحقاً، وحين ضغطت عليه المغنية بهدف معرفة سبب تحفظه الواضح، رضخ ريس أخيراً فألمح لها متردداً أنه يواجه بعض المشاكل الشخصية في المنزل. بعد ذلك صارت المرأة الإسبانية الملتهبة لطيفة جداً وخفيفة الظل، أما عيناها الغامقتان فصارتا دافئتين متفهمتين، بينما نصحته أن يأخذ كل ما يحتاجه من وقت لأجل تصفية الأمور العالقة. أكدت له أنجلينا من جهة أخرى أنها لن ترضى بأن يروج لجولتها الموسيقية أي شخص غيره.

- لم نقرر أي شيء بعد، لذا ردّاً على سؤالك... لا، أنا لن أسافر في أي وقت قريب.

ثم رفع نظراته ببطء ليلاقي نظراتها. سألها بصوت مخملي: «هل هذا يسعدك، سوريل؟».

٧ ــ أنا لست طفلة!

- لا أريدك أن ترفض عروضات العمل لأجلي فقط.

استشعر ريس أن سوريل تنسحب خلف ذاك الجدار الجليدي الذي بدت عازمة جداً على إبقائه قائماً بينهما. لذا وضع يده خلف عنقها وقرّب وجهها منه متعمداً.

سألها بينما بدت عيناه الزمرديتان تتوسلانها: «هلا توقفت عن مقاومتي ولو للحظة واحدة؟».

تجمدت سوريل، إلا أن كتفيها ارتختا قليلاً. قربها ريس منه أكثر، وعانقها عناقاً شغوفاً، تفجر رقة وحلاوة داخل أحاسيسه كالعسل القادم من غابة مسحورة، وحوّل شغفه وتوقه إلى لهيب مزمجر، صلّى ريس كي لا ينطفئ أبداً.

يا إلهي... كم افتقد لهذا الشعور! إن ملمسها لا يشبه أية امرأة أخرى... إنها قادرة على أن تجعله عبداً لها لو أرادت ذلك... تلك هي قوتها. أحس ريس بكل همومه تتلاشى في بحر من الأحاسيس يحلم بأن يسبح فيه على الدوام. طاف فوقه عبير الأزهار الصيفية المسكرة، فيما هو يتشارك تلك المشاعر الرائعة مع المرأة التي يتوق إليها بشكل يتخطى الحدود.

استشعر ريس تجاوب سوريل المرتعد مع عناقه المتملك، فاختبر حينها أولى لحظات السعادة التي لم يعرفها منذ فترة طويلة... طويلة

www.elromancia.com

جداً. لكن سرعان ما انتهى كل شيء، حين قطعت سوريل ذلك العناق... فيما تراجعت بعيداً عنه فداعبت أنفاسها عنقه. أما عيناها فبدتا مغشيتين وغامقتين.

- لماذا فعلت هذا؟

ارتعشت شفتها السفلى، فتاق ريس لأن يضمها إليه من جديد.

- هل أنا بحاجة إلى سبب كي أعانق زوجتي؟

أجابها ريس عن سؤالها بابتسامة حقيقية دافئة تتخطى الكلمات بسحرها وجاذبيتها، لذا ذاب بعض الجليد المحيط بقلب سوريل. لكنها ما تزال خائفة من الاستسلام له تماماً، فهما لم يتوصلا إلى أية اتفاقات بعد. لم يناقشا فعلاً وقع المأساة التي تعرضا لها. كيف يمكنهما أن يسويا خلافاتهما إذا لم يناقشا فعلاً ما يريده كل منهما، لمرة واحدة نهائية؟

أدركت سوريل بحزن أن عناقاً واحداً لا يصنع مستقبلاً. لعلهما يتشاركان بشغف قوي من شأنه أن يذيب الجبال الجليدية القطبية، لكن إذا كانا في كل شيء آخر أساسي وجوهري على طرفين متناقضين تماماً، فكيف يمكن لزواجهما أن يحظى بأية فرصة للنجاح؟

مع ذلك، سمعت في مؤخرة ذهنها صوت جيني يحثها على «أن تأخذ إجازة، وأن تحصل على أشعة الشمس»، فلم يسعها إلا أن تتساءل إذا ما كان ريس محقاً عندما قدم لها الاقتراح نفسه؟ لعله يجدر بهما أن يقصدا منزلهما في آلغراف وأن يتعرفا على بعضهما بشكل أفضل من جديد. أحست سوريل أن وميض الأمل الخافت ينفجر، فيصير لهباً داخل قلبها، كاد يتوسلها لأن تستغل الفرصة.

- لا... لست بحاجة إلى سبب.

جاء رد سوريل متخطياً حد الخجل، فسمحت لريس أن يداعب أناملها وأن يحرك باطن إبهامه في حلقات دائرية حول كفها. قالت:

«ريس، كنت أتساءل...».

- ما الذي تتساءلين عنه، حبيبتي؟

ابتسم ريس مجدداً، ولوهلة صعقت سوريل فأصبحت غير قادرة على الكلام بسبب قوته وقدرته على إذابة أوصالها تماماً.

- بشأن ما اقترحته منذ فترة... بأن نسافر سوياً لبعض الوقت إلى منزلنا في آلغراف...؟ أظن... أظن أنني أحبذ تلك الفكرة.

حبس ريس أنفاسه متفاجئاً بسبب هذا التطور الإيجابي غير المتوقع، فرفع يد سوريل نحو شفتيه وقبّلها ببطء وبرقة. عندما لاقت نظراته عينيها مجدداً، بدت زمردتا عينيه المذهولتين أكثر لمعاناً.

وعدها قائلاً: «سوف أرى إذا كان بمقدوري أن أحجز لنا تذكرتين إلى فارو يوم غد».

- أبهذه السرعة؟

- لِمَ علينا أن ننتظر؟ فليس لدينا سوى نفسينا كي نرضيهما.

ذكّرت كلماته سوريل بألم وعن غير قصد بأنه... نعم... ليس لديهما سوى نفسيهما ليرضياهما، لأنه لم يعد هنالك من طفل ينتظرانه بشوق. تلاشى النور من عينيها قليلاً فيما لاقت نظرات زوجها المسرورة بكل وضوح.

- حسناً!

نهضت سوريل عن السرير قبل أن يتمكن من منعها. اتجهت نحو الباب، وقالت: «سوف أوضب أمتعتي لاحقاً، أما الآن فأنا ذاهبة لأتصل هاتفياً بميلودي، ثم أبدأ بإعداد العشاء. أراك في ما بعد».

* * *

في وقت لاحق، عندما وقفت سوريل في وسط المطبخ العصري الكبير وهي تقشّر الجزر داخل المصفاة. تساءلت عما كان ريس يفعله في غرفة نومها، وحيّرها الأمر. كان ريس قد نقل ملابسه من الخزائن المثبتة بالحائط إلى الغرفة التي بات يشغلها هذه الأيام في آخر

الرواق. فما هو السبب الذي دفعه للتواجد هناك؟ ولماذا تراه غفا على السرير؟ بعدئذٍ تذكرت عناقه، فتوقفت في منتصف عملية تقشير إحدى الجزرات. ما زالت تذكر أسلوب معانقته لها ببطء... وعمق... وتعنيف... إن أية فتاة ستغدو مستعدة لأن تسلمه ليس فقط جسدها، بل أيضاً قلبها وروحها، فتمنحهما له بطيبة خاطر

- سوريل؟!

قبض صوت ريس على سوريل وهي في غفلة، فاحمرت وجنتاها خجلاً، فيما شعرت بالذنب، كما لو أن ريس يستطيع أن يعرف بمجرد نظرة ما تفكر به. وقف ريس في مدخل المطبخ وأزرار قميصه مفتوحة. استندت إلى المنضدة لكي تستعيد الاحساس بالتوازن. من الواضح أنه خرج للتو من الاستحمام، فشعره الذهبي ما زال رطباً، أما ابتسامته الجذابة فوجدت هدفها على الفور، مطلقة رفاً من الفراشات راحت ترفرف داخل معدتها.

- ما الأمر؟

بدأت سوريل تقشر الجزرة التي تحملها باندفاع أقرب إلى الهلع.

- نحن محظوظان. تمكنت من حجز تذكرتي سفر في الدرجة الأولى على متن طائرة متجهة إلى فارو ظهر يوم غد. بعد أن نصل ونستقل السيارة المستأجرة، يفترض بنا أن نصل إلى المنزل حوالى الساعة السادسة أو ما يقاربها. كيف يبدو ذلك؟

- ذلك عظيم!

- اتصلت بريكاردو وإينيز، وطلبت منهما أن ينتظرا قدومنا، لذا يفترض أن يكون المنزل جاهزاً بانتظارنا.

إنهما زوجان برتغاليان وظفهما ريس لكي يعتنيا بالمنزل أثناء غيابهما، ولكي يقوما بالتدبير المنزلي لهما عندما يكونان هناك. هما يقيمان في منزل تقليدي يقع على بعد ميلين من منزل ريس وسوريل. مرت فترة لابأس بها منذ رأتهما سوريل لآخر مرة. ارتفعت معنوياتها

قليلاً لدى التفكير بإمكانية رؤيتهما مجدداً. لطالما كان الزوجان لطيفين جداً وخدومين، وهما مستعدان ليفعلا أي شيء كي يشعراها وريس بالارتياح، لذا يثق بهما ريس كثيراً.

- إذاً... كل ما علينا أن نفعله هو توضيب أغراضنا؟

دخل ريس إلى الغرفة فوقف عند الطرف الآخر من المطبخ ليراقبها، ثم قال: «هذا صحيح. ما الذي تفعلينه؟».

هزت سوريل كتفيها خجلة قليلاً، وقالت: «أنا فقط... أعد فطيرة الراعي مع بعض الفاصولياء والجزر. أهذا مناسب لك؟».

- حبيبتي! أنا لا أريدك أن ترهقي نفسك بالطهو، فأنت خرجت اليوم للتسوق في حين كان يجدر بك أن ترتاحي. لِمَ لا نطلب طعاماً جاهزاً بكل بساطة؟

- ظننت أن فطيرة الراعي هي أحد الأطباق المفضلة لديك.

لم تقوَ سوريل على كبت خيط الشعور بالأذى الذي حبك صوتها.

- إنه كذلك، لكنني أفضل حقاً ألا تعدّي الطعام الآن بالذات. آه... ! بالمناسبة، أحببت ذلك الكتاب... شكراً. أنا رغبت حقاً في شرائه. لابد أنك قرأتِ أفكاري.

رفعت سوريل رأسها لتبتسم لريس، متأثرة بالمجاملة غير المتوقعة. لكنه كان قد خرج من الباب، وهو يصفّر...

* * *

كان ريس في غرفة نومه يوضب أغراضه عندما رن جرس الهاتف على الطاولة المجاورة للسرير. جلس بجانب حقيبة السفر المفتوحة التي تركها على السرير ليرد على الهاتف، وهو يدرك أن سوريل تأخذ حماماً.

- مرحباً!

- ريس، حبيبي! أنا أنجلينا. قلقت جداً عليك عندما التقينا على الغداء في وقت سابق من هذا النهار، حتى إنني لم أتوقف عن التفكير

بك. أنا أتصل لأقول لك إنني حقاً أظن أنه يجدر بك أن تأخذ أجازة. . . أنت وزوجتك الجميلة. من الواضح أنك كنت تعمل بكد كبير، لذا من المنطقي أن تسافر لترتاح قليلاً. أليس كذلك؟

تأثر ريس كثيراً لأن المغنية المشهورة أمضت وقتها تفكر بأمور لا تهمها. حدّق إلى الخارج عبر النوافذ الزجاجية نحو أحواض الأزهار المصنوعة من الفخار، ثم عبس. في العادة، كان ريس يسجل المنظر فلا ينزعج منه، لكن في تلك اللحظة بالذات ولسبب لا يمكن تفسيره أزعجه ترتيب الأزهار الخالي من العيوب بالإضافة إلى مفروشات الحديقة. انزعج كثيراً إلى درجة انتابته رغبة بأن يخرج إلى هناك فيثير فيها بعض الفوضى.

- في الواقع، نحن على وشك أن نفعل هذا بالتحديد أنجلينا.

حوّل ريس اهتمامه نحو المتصلة، فتنهد وقال: «سوف نسافر بالطائرة إلى فارو يوم غد، وسوف نقيم في منزل نملكه بالقرب من فارو».

- أتسافر غداً إلى فارو؟

بدت أنجلينا مصدومة، فجذب ريس حاجبيه الأشقرين الغامقين سوياً في عبوس وقال: «هل هنالك خطب ما بذلك؟».

- لا، عزيزي! بل أبعد ما يكون عن ذلك. أنا أمتلك فيلا في آلمانسيل، بالقرب من وادي لوبو. سوف أسافر برفقة إيمانويل إلى هناك هذا السبت. لابد أنه القدر. أليس كذلك؟ لابد أن تعطيني رقمك هناك وسوف أتصل بك. سأقوم بالترتيبات لك ولزوجتك حتى تحضرا إلى منزلي وتتناولا العشاء معنا. ألا يبدو ذلك رائعاً؟

اختلطت مشاعر ريس، فلم يعلم إن كان يجدر به أن يعطي أنجلينا رقم هاتفه البرتغالي. فرك التجعيدة ما بين حاجبيه واستنشق نفساً متوتراً بعض الشيء. تساءل عما قد تظنه سوريل حيال دعوة إلى العشاء في الفيلا الفخمة الخاصة بالمغنية الفاتنة. أتراها ستعتقد أنه

خطط للأمر بأسره، أي ذهابهما إلى آلغراف فقط لكي يلتقي صدفة بأنجلينا؟ لكنه تذكر أن سوريل هي التي اقترحت هذه الرحلة بنفسها لا هو، لذا أطلق نفسه مجدداً بارتياح. تأمل أنه لو تسنى لسوريل أن تتعرف إلى النجمة بشكل لائق، فهي سوف ترى بأن أنجلينا ليست مهتمة به كهدف عاطفي محتمل بل فقط باعتباره صديقاً لها. على ضوء ذلك، ما السوء الذي قد يحصل لو أعطى أنجلينا رقم هاتفه؟

* * *

حوالى الساعة السادسة والنصف مساء وصل ريس وسوريل إلى المنزل الذي عمّده ريس باسم «الجنة على الأرض». وكما هو متوقع كان ريكاردو وإينيز قد عملا بجهد تحضيراً لزيارتهما. المنزل الريفي الأثري الذي تم تجديده عكس الكثير من الطراز القديم الأنيق والجميل، بفضل حدائقه الخضراء المشذبة، وبفضل شرفاته المرتفعة على سقف المبنى، وأيضاً بسبب هندسة العمارة التقليدية الجميلة.

قاد ريس السيارة إلى الباحة الخارجية في هذه الأمسية الربيعية المنعشة التي يميل طقسها إلى البرودة. بدت الأجواء معطّرة بسبب النباتات الغريبة والأزهار التي تنشر عبيرها في الهواء. أما المنزل الواسع فبدا كأنه يشع بالحب والتفاني حتى قبل أن يخطوا أية خطوة نحو الداخل. تخلل الرحلة بالطائرة من مطار هيثرو الكثير من المطبّات الهوائية، لذا سرّت سوريل لأنهما وصلا. أخيراً ستتمكن من الجلوس بهدوء، أما أعصابها فبدت مشدودة بسبب تفكيرها بأنها سوف تمضي وقتاً متواصلاً برفقة زوجها.

قاد ريس زوجته إلى أقرب أريكة، فطلب منها أن ترفع قدميها لكي ترتاح، وذلك بعد أن ترك حقيبتي ملابسهما على الشرفة التي تقع أمام أول غرفة استقبال. أحس بالقلق لأن سوريل بدت شاحبة ومرهقة جرّاء رحلتهما الطويلة، فعلم أنها حقاً تحتاج لأن تصغي إلى نصيحته،

www.elromancia.com

فترتاح إلى أن يحين موعد الطعام.

توجه ريس نحو المطبخ الواسع المزدان بالألوان. أحس بالامتنان عندما وجد وجبة جاهزة بانتظارهما على طاولة المطبخ، مع زجاجة من العصير بالإضافة إلى كوبين كبيرين موضوعين إلى جانب الزجاجة. تناول ريس بضع حبوب من الزيتون الأسود، بعدئذٍ هز كتفيه، وخلع سترته، ثم حدّق خارج النافذة. أسر اهتمامه جمال المنظر الطبيعي الهادئ، والشمس التي تسطع بشعاع برتقالي وهي تستعد للغروب، فتحوم فوق التلال في الأفق. هبط عليه سلام عمّ مزاجه، لم يقدر تماماً على تحديد سببه، لكنه أيضاً لم يقدر على إنكار هذا الاحساس. فكر ريس، لعله وسوريل موجودان تماماً في المكان المناسب الذي يجدر بهما أن يكونا فيه. لعلهما قد يتمكنان أخيراً من البدء بإصلاح ما انكسر بينهما، لعل هذا الانفصال الكريه الذي مر عليهما يلهمهما إلى ما كانا بحاجة إليه منذ البداية.

فقط لو أنه لم يكن عنيداً جداً بشأن عمله، حين جعله دوماً في المرتبة الأولى بالنسبة إليه. لعله قد يتذكر كيف يشعر بالرضى والاكتفاء بأمور أكثر بساطة في الحياة، كالابتعاد عن ضجيج حياة المدينة، وعن الأسفار المتواصلة، وعن لقاءات العمل المحصورة عموماً بين أربعة جدران. عليه أن يجرب شيئاً مختلفاً كالمشي سيراً على الأقدام في الغابة أو مراقبة غروب الشمس. لعله قد يتعلم كيفية الاستمتاع بمجرد «وجوده» عوضاً عن القيام بعمل ما، لبرهة من الوقت، فلا يحاول باستمرار البحث عن السعادة في مكافآت طموحة. لعله أيضاً قد يعيد تعويد نفسه على رفقة المرأة الجميلة التي وقع بحبها منذ سنوات.

- أنا خائفة.

أعلنت سوريل من خلف ريس فيما خطت حافية القدمين على قطع القرميد المربعة التي تغطي الأرضية.

كانت قد خلعت سترتها الكتانية، وباتت الآن ترتدي فستاناً أبيض بسيطاً طويلاً. بدت شابة جداً ولطيفة جداً بشعرها الأشقر والمشدود إلى الوراء خلف رأسها، فيما تدلت منه بضع خصلات مرتخية حول وجهها الخالي من التبرج.

أحس ريس بشكل غير متوقع أن وخزة من الإدراك والألم تخترق صدره وهو يدرس ملامح سوريل. للحظة استعاد ذهنه لمحة لما بدت عليه سوريل ليلة خسرت طفلها، إذ كانت ترتدي ثوب نوم أبيض اللون ليس بعيد الشبه عن هذا الفستان الذي ترتديه الآن، لكنه بدا ملطخاً بشكل مريع بالدماء... تفاعلت أحشاء ريس تجاه الذكرى المزعجة التي راودته، وللحظة بدا مصعوقاً جداً، لدرجة أنه فقد القدرة على الكلام.

- ريس؟!

أدركت سوريل أن ريس على بعد أميال بتفكيره، فأحست أن قلبها يفوّت إحدى نبضاته. هل هو نادم على القدوم في هذه الرحلة معها في حين أن الأمور بينهما سيئة جداً؟ هل استنتج أن هذه الإجازة هي على الأرجح غير مجدية؟ جرجرت نظراتها بعيداً عن التعابير المنشغلة التي عبرت وجهه الوسيم، وعوضاً عن ذلك لاحظت الطعام الفاخر الموضوع على الطاولة أمامها.

- هل أعدت إينيز كل هذا؟

استفاق ريس من الغيبوبة المؤقتة التي أخذته للحظات. وقذف حبة زيتون داخل فمه.

- بالطبع فعلت، فتلك المرأة هي إحدى ملائكة الله على الأرض!

لطالما أحبت سوريل طريقة ريس في الإعراب عن استمتاعه. فهو لا يكبت مشاعره كما يفعل بعض الرجال، سواء كان الأمر متعلقاً بالطعام، بلوحة جميلة، أو بالحب... ريس يعرف كيف يبدي إعجابه وتقديره. أحست سوريل بالدوار في رأسها لدى تفكيرها بذلك.

- لِمَ لا نأخذ الطعام إلى الخارج؟

اقترحت ذلك وهي تنحني فوق الطاولة الخشبية المربعة لكي تجمع في طبقها بعض الفاكهة والجبنة والزيتون.

سألها ريس وهو يلاقي عينيها: «أليس الجو بارداً قليلاً؟».

لم يقوَ ريس على منع نفسه من التساؤل لما بدت سوريل فجأة وكأنها تحمر خجلاً، فهذا الأمر أثار اهتمامه على الفور.

- يمكنني أن أرتدي سترتي، أو... لدي وشاح في الحقيبة التي تحمل على الكتف.

- حسناً! دعينا نفعل ذلك.

جلسا سوياً في صمت ودي غير متوقع قرابة الساعة يراقبان الشمس وهي تختفي. أخيراً، وبصورة تلقائية أضيئت الأنوار التي تشبه فانوس الجني والتي نصبها ريكاردو في مواقع استراتيجية لأجلهما. أحبت سوريل اقتراح ريكاردو البسيط باختيار الفوانيس، مما يسمح لهما بإضفاء أجواء أكثر سحراً من أي شيء آخر أكثر عصرية.

جلست سوريل ترتشف كوب العصير وتراقب الأضواء المتغيرة وهي تخلق ظلالاً جديدة على ملامح زوجها الملفتة. لاحظت أن بعض الخطوط الخفيفة على جبين ريس وحول فمه قد ازدادت عمقاً بالتأكيد. لم تقوَ على مقاومة الشعور بالأسى لدى معرفتها أن ريس عانى بشكل مساوٍ لها جراء الانهيار المحزن لعلاقتهما، كما عانى بسبب الخسارة المريعة للطفل الذي كانت تحمله. قال لها ريس هذا الكلام من قبل، لكنها لم تصغِ إليه حينها. كانت مغمورة جداً بآلامها الخاصة.

لو أن زواجهما لم يكن في نقطة اللاعودة عندما عانت سوريل من الإجهاض، لربما تمكنا من توفير الدعم لبعضهما البعض أكثر. تأملت سوريل ذلك. الآن كلاهما موجودان على أرض العلاقات المفقودة. كلاهما يحاولان يائسين أن يجدا طريقاً للخروج من بؤسهما المشترك. لكن أياً منهما ليس مستعداً للقيام بالخطوة الأولى باتجاه تهشيم رابط الحب الذي يتذكرانه والذي ابتهجا به كثيراً في البداية.

- أنت لم تأكلي الكثير من الطعام.

قاطع صوت ريس أحلام يقظتها الكئيبة، فيما نظر إلى أطباق الطعام الموضوعة أمامها على الطاولة والتي ما تزال ملأى تقريباً، ثم عاد ونظر إليها.

- وأنت أيضاً.

أقر ريس قائلاً: «أظنني لست جائعاً الآن بالذات».

ابتلعت سوريل ريقها بصعوبة، أتراه فقد شهيته بسببها؟

سألته بفظاظة: «الآن... بما أننا جئنا إلى هنا، هل أنت نادم على ذلك؟».

جاءت نظرة ريس نحوها مساوية في الفظاظة إن لم تكن أكثر، إذ قال: «لا، على الإطلاق. لكن كما قلت مسبقاً سوريل، يتطلب الأمر شخصين كي يلتزم المرء تماماً بعلاقة غرامية. لا أنوي أن أعاملك بعناية مطلقة وبحذر شديد طيلة الوقت».

- أنا لست أطلب منك أن تعاملني بحذر شديد! يمكنني أن أتلقى النقد إن كنت مخطئة، أيضاً. أنا أقوى مما أبدو عليه في الواقع.

لم يتمكن ريس من كبت التكشيرة المشككة التي أفلتت من شفتيه، فرفع رجليه على كرسي آخر، ثم نظر نحو تعابير وجهها الساخطة باستمتاع. بعدئذٍ قال: «القوة» ليست كلمة قد استعملها لأصفك بها، يا ملاكي... ليس بحسب نظرتي للأمور. الآن بالتحديد تبدين كطفلة فوتت موعد نومها بالسهر مطولاً. أتريدينني أن آتي لأدثرك في الفراش؟».

تصلّب عمود سوريل الفقري على الفور، عندما سمعت ريس يذكر الكلمة الوحيدة المحمّلة بكل أنواع المعاني التي تفضل لو تبقى بعيدة عنها: السرير!

- لا، شكراً لك! على أي حال، أنا لست طفلة، وأنا قادرة تماماً على أن أقرر وقت ذهابي إلى النوم.

وبّخها ريس ساخراً وهو يبتسم، إذ قال: «إنك شائكة مثل القنفذ كالعادة».

لكن سوريل ردت مباشرة: «لا، لست كذلك!».

- أترين؟

تموّج صوت ضحكته فوق خلايا أعصابها، فجعلها ترتعش. أما ريس فندم على الفور عندما رآها تفرك ذراعيها العاريتين صعوداً ونزولاً. قال: «أنت تشعرين بالبرد. دعينا نذهب إلى الداخل».

أحست سوريل بالذنب قليلاً لأنه ظن أن ارتعاشها سببه البرد، فاستدارت إلى الوراء لتأخذ سترتها عن الكرسي، لكنها عوضاً عن ارتدائها، وضعتها بشكل متدلٍ فوق كتفيها، وقالت: «أنا بخير الآن. أفضل أن أبقى هنا لبعض الوقت عوضاً عن الذهاب إلى الداخل».

لم يتوقف ارتعاد سوريل. أما نظرات ريس غير المريحة فراحت تدرس ملامحها ببطء ومن غير خجل. علمت سوريل من هو المتفوق في هذه الجلسة القريبة الحميمة التي تدور بينهما، ولم تكن هي بالطبع.

- أنت تشعرين بالبرد سوريل... يمكنني أن أرى الدليل بنفسي.

نظرت سوريل نزولاً نحو صدرها، وعضّت على شفتها السفلى وهي تشعر بالاحراج.

طالبته قائلة: «هل يجدر بك دوماً أن تلاحق كل أمر حتى النهاية في ما يتعلق بي؟».

- أنت امرأة جميلة وجذابة، سوريل... لماذا ظننتني انجذبت إليك في البداية أصلاً؟ هل يفترض بي ألا ألاحظ التفاصيل الصغيرة الحميمة المتعلقة بك بعد الآن؟ مثلاً كيف تتحول عيناك الزرقاوان إلى اللون الغامق الدخاني عندما تشعرين بالانجذاب نحوي... وأسلوب تحرك جسدك برشاقة كبرى لدرجة أنك تبدين كما لو أنك تنزلقين...

أو الطريقة التي يترك بها عطرك أثراً خلفه عندما تخرجين من غرفة ما؟ هل تظنين أنني لا أهتم إلا بإقامة علاقة حسية معك فقط، إلى درجة أنك جعلتني العدو الأول بالنسبة إليك؟

www.elromancia.com

٨ ــ من أجل طفلي

ردت سوريل وهي تشعر أنها ملسوعة: «أنا لا أعتبرك عدوي!».

لكن شعورها بالإهانة يعود جزئياً لواقع أن كلماته المضلّلة تركتها هائمة في عرض البحر، من دون حبل نجاة يرشدها كيف تعود بأمان إلى المرسى.

دفعت سوريل بنفسها فوقفت على قدميها لكي تغطي ارتباكها. بدأت ترفع أحد الأطباق، وقالت: «أنت محق. الطقس صار بارداً هنا. أظنني سأرفع الأطباق من هنا، ثم سأذهب لأفرغ حقائبي».

أخفى ريس رغبته بأن تبرهن سوريل عن بعض الدفء واللطف تجاهه. حاول ألاّ يدع إحباطه الحاد بسبب هذا الموقف ينسكب على شكل جدال آخر. علم أنها تهرب مجدداً من عدم ارتياحها لرفقته. إذا كان غضبه يجعلها تشعر بعدم الارتياح، فإن مجاملاته على ما يبدو تجعلها تشعر بعدم الارتياح بشكل أسوأ. ما الذي يفترض أن يفعله؟ جل ما يعرفه ريس هو أنه مستعد لأن يدفع الكثير من المال لو كان بمقدوره أن يعكس هذا الموقف، لأنها في هذا الوقت بالذات قد أربكته فعلاً.

– دعي الأطباق. أنا أنوي البقاء هنا لبرهة بعد، سأدخل عندما أصبح مستعداً.

ورمقها بنظرة أخيرة حامية نحو نظراتها الزرقاء المذنبة.

* * *

خرجت سوريل من الحمام إلى غرفة النوم وهي تلف نفسها بمئزر أبيض، فوجدت ريس يعلق بعض القمصان الكتانية داخل خزانة الملابس الضخمة.

سألته فيما بدأ قلبها يدق بقوة: «ما... الذي تفعله؟».

استدار ريس قليلاً فقط، وأجاب: «ما الذي تظنينني أفعله؟ أنا أعلق ملابسي في الخزانة».

– هل ستنام هنا... معي؟

توجهت نظراتها المتوترة نحو السرير المزدوج الضخم المغطى بلحاف تقليدي مطرّز.

– هذا صحيح. ألديك أية مشكلة في ذلك؟

إنهما لم يتشاركا السرير نفسه منذ ما يزيد عن الثلاثة أشهر... بل قرابة الأربعة أشهر. أهو فعلاً يتعامل مع عودته إلى غرفة نومهما بهذا الشكل العادي العابر، كما لو أنه ليس للأمر أية أهمية على الإطلاق؟

– هنالك غرفتا نوم أخريان في المنزل، وأنا واثقة من أنّ إينيز أعدّت كل الأسرّة.

لفت هذا الكلام انتباه ريس، فاستدار ببطء واضعاً يديه على وركيه، ورمقها بنظرة قاسية ثم قال: «ماذا إذاً؟».

– أنا فقط... لا أظنها فكرة سديدة جداً... أن نحاول تطبيق المسألة بالقوة... ألا تظن؟

– أنا لا أحاول تطبيق أي شيء بالقوة... اللعنة!

استدار ريس قليلاً لكي يحاول تهدئة الهيجان الذي بدأ يدور في صدره كالدوامة، ثم عاد ووجه نظراته نحو سوريل، فمررها صعوداً ونزولاً على جسدها الملفوف بالمئزر، فيما كادت نظراته تحمل معنى الازدراء حين قال: «قد لا أكون أنا تجسيداً لفكرتك عن السيد المحترم الكامل حبيبتي، لكن حتى أنا لن أحاول أن أجبر زوجتي على إقامة علاقة حميمة لا ترحب بها. أرجوك امنحيني بعض الثقة! قريباً

سوف يتجاوز هذا الموقف النقطة التي لن نعود بعدها قادرين على إنقاذ أي شيء، في حال لم تقومي بأي خطوة لتصحيح الأمر. إن كل ما أرغب بفعله هو أن نتشارك في السرير سوياً من جديد. على الأقل دعينا نتفق على هذا. هلاّ فعلنا؟».

حاولت سوريل بيأس شديد أن تكون عقلانية في وسط بحر من العواطف التي هدّدت بأن تغرقها. جالت نظراتها على جسد ريس صعوداً ونزولاً ملاحظة ملامحه الوسيمة الصاعقة. علمت أن أية امرأة غيرها سوف تشعر بالسعادة لمعرفتها أن رجلاً كريس مصمم جداً على مشاركتها سريرها، أما في خفايا قلبها فعلمت أنها ليست محصنة ضد حماس مشابه لهذا أيضاً. كيف يمكنها أن تكون منطقية في حين أنها تتأثر بكل شيء يفعله هذا الرجل؟ عندما يتنهد يأسرها القلق، أما عندما يضحك بسعادة ومن دون قيود، فهي بدورها تختبر السرور اللامحدود. ظاهرياً ليس من المستغرب أن تدعو ريس إلى سريرها مجدداً، لكن داخلياً... إنها ليست مستعدة. ليس لديها أي شيء تعطيه له، لا شيء تقدمه. كيف يمكنها أن تفعل ذلك في حين أنها لا تشعر في داخلها بسوى ضياع كبير فارغ منذ أن خسرت طفلهما؟

- سوريل؟!

- سوف تضطر إلى التقرير بنفسك. أنا... أنا لا أستطيع أن أفكر بشكل صائب الآن بالذات. أنا مرهقة، وكل ما أريد أن أفعله هو الخلود إلى النوم.

نظر ريس إليها بعدم تصديق وبخيبة أمل مريرة، فيما استدارت سوريل وعادت إلى داخل الحمام. حدّق ريس نزولاً نحو الأرضية المغطاة بالآجر تحت قدميه الحافيتين، وللحظة مطولة لم يرَ شيئاً سوى الضباب الأحمر يدور في دوامة أمام عينيه. بعدئذٍ سلّم نفسه لليلة أخرى باردة وحيدة معذبة، فانتزع قمصانه بعنف من الخزانة،

وحمل حقيبة ملابسه ثم صفق الباب بقوة بعد خروجه من الغرفة متجهاً نحو غرفة نوم أخرى تقع في آخر الرواق.

حدّقت سوريل نحو انعكاس صورتها الباهتة القلقة في مرآة الحمام، وذلك بعد أن سمعت باب الغرفة يصفق بقوة، لكنها لم تقوَ إلا أن تمقت الصورة التي رأتها في المرآة...

* * *

سطعت الشمس قوية في اليوم التالي على الأرصفة المتعرجة للبلدة البرتغالية الساحلية الصغيرة، وذلك على عكس برودة الأمسية السابقة. وضعت سوريل على رأسها قبعة من القش تحمل زهرة نرجس برية صفراء اللون مصنوعة من الحرير ومثبتة بدبوس على جانب القبعة، كما ارتدت سروالاً مشدوداً بربائط مع قميص قطنية بلون القرفة. اضطرت إلى مواصلة السير فمشت بخطوات بطيئة متمهلة. لم يبدُ أن الحرارة تؤثر بريس على الإطلاق. ارتدى سروالاً من اللون الكاكي مع قميص كتانية بيضاء، ووضع نظارتين شمسيتين سوداوين غامقتي اللون، أما شعره الذهبي فتوهج كالهالة الملفتة للنظر حول وجهه. شعرت سوريل بالغيرة عندما لاحظت النظرات الحاسدة التي تلقاها من الفتيات المحليات والسائحات على حد سواء، لذا حاولت أن تركز على المناظر الطبيعية عوضاً عن ذلك.

بينما كان ريس وسوريل يمشيان قدماً، وصلا إلى نهاية طريق ضيق محفور على قدر مواطئ الأقدام، فجأة وجدا نفسيهما وجهاً لوجه مع أروع كنيسة أثرية. إنها كنيسة منمقة بالنقوش تتألق تحت أشعة شمس الظهيرة الساطعة، أما سطوحها المرتفعة وبناؤها الحجري فتبدو كأنها تأمر كل من يراها بأن يوليها كامل اهتمامه ودهشته.

- هل يمكننا الدخول؟

سألت سوريل زوجها فيما توقف واضعاً يده فوق نظارتيه الشمسيتين ليحجب عن عينيه أشعة الشمس الساطعة وهو يلقي نظرة.

- بالطبع. لِمَ لا؟

إنه يتكلم معها الآن! ليلة أمس قام ريس بمجهود آخر محاولاً أن يقرّب بينهما، وما الذي فعلته سوريل؟ لقد صدّته مجدداً. على ضوء ذلك، فهي بالكاد يمكنها أن تتوقع أن تكون رفقته ممتعة جداً. حتى الآن، وبالرغم من معرفتها بأن الذنب ذنبها، فإن سوريل لم تجد الكثير من السرور لا في اليوم الجميل ولا في المناظر الساحرة. بدا كما لو أن ذهنها وقلبها محتجزان بعيداً داخل علبة مظلمة ضيقة، وهي لا تقدر على إيجاد المفتاح لتفتحها وتسمح لضوء النهار بالدخول.

راقبته سوريل وهو يسير بخطوات واسعة أمامها. رأت شابة برتغالية نحيلة تقف إلى أحد جانبي الدرج الضيق المؤدي إلى داخل الكنيسة وقد أدارت رأسها نحو ريس، فلم تُخفِ إعجابها به وهو يمر بالقرب منها بشكل عابر. إنها حتى لم تلاحظ سوريل. تدفق داخل صدر سوريل نبض صغير مفاجئ للغيرة والغرور، فيما تحركت كي تلحق بريس، وقد تشنج ظهرها بسبب هذا الاجهاد المفاجئ.

داخل المبنى الجليل المهيب بدا الجو بارداً. وقف كلٍ من ريس وسوريل عند بداية الممشى الطويل الضيق الذي قطع درباً في وسط الكنيسة. أدارا رأسيهما من جهة إلى أخرى كي يتفحصا الفن الديني الملهم الذي تزينت به الجدران الأثرية. تقدما بعد ذلك نحو مصلّى صغير جانبي حيث كانت الشموع تشتعل على قاعدة حديدية منمقة أمام تمثال جميل منمق للسيدة العذراء. بحثت سوريل في حقيبتها عن بعض النقود المعدنية، ثم وضعت إحدى الشموع بعناية في قاعدة فارغة كي تشعلها.

شعر ريس بما يشبه التنويم المغناطيسي للحظة مؤقتة لدى مشاهدته لمنظر سوريل، فهي خلعت قبعتها المصنوعة من القش حين دخلت إلى الكنيسة، أما شعرها الأشقر المشرق فأضيء من الخلف بشعاع من الشمس المتسللة عبر النافذة الزجاجية المصبوغة. بدت سوريل جميلة

جداً ويافعة جداً، حتى إن قلبه كاد يتوقف. فكر بينما تجمعت العواطف داخله أنها شابة جداً... شابة جداً لتكون قد فقدت طفلاً كانت تتوق له، وعانت من ليلة الرعب التي اختبرتها حين فقدته.

الآن أدرك بوضوح تام لا شك فيه أن سوريل أرادت ذاك الطفل أكثر من أي شيء آخر... ربما أكثر مما أرادت أن يستمر زواجهما. تشرّب ريس ذاك الادراك القارص وهو يتنهد تنهيدة عميقة ثقيلة تنم عن الندم العميق. إن أية امرأة غير سوريل تتمتع بالفرص الرائعة نفسها لتسافر وتحظى بمهنة متألقة كعرض الأزياء، لربما كرهت اختصار نجاحها المهني الذي يلوح بالأفق كي تحل مكانه مهمة الاعتناء بطفل... لكن ليس سوريل. الأمومة أتت إليها بشكل طبيعي، وهي لن تندم على تحمل تلك المسؤولية ولو بمقدار ذرة.

- إنها تبدو مثل العذراء. أليس كذلك؟

توقف إلى جانب ريس سائح إيطالي متبسّم يضع نظارتيه الشمسيتين على قمة رأسه، أما بشرته المسمرّة فبدت واضحة في الداخل المعتم للكنيسة. راح الرجل يراقب بإعجاب هيئة سوريل الواقفة أمام بضعة صفوف من الشموع، وقد بدت تعابير وجهه مذهولة.

لم يجد ريس الكلمات الملائمة كي يرد عليه، لكنه استشعر فعلاً تسارعاً للتوق بدأ يقبض عليه بقوة تكاد تكون عنيفة في داخله، بينما تشارك بمنظر زوجته مع السائح المجهول. في تلك اللحظة لم يرغب بأي شيء أكثر من أن يأخذ سوريل إلى المنزل فيبقيها لنفسه فقط ولا أحد سواه. وجه ريس للرجل إيماءة برأسه تدل على الموافقة، ثم مشى إلى داخل المُصلّى الصغير ليقف بالقرب من سوريل. إنه يعرف مسبقاً الجواب عن السؤال الذي يوشك أن يطرحه عليها.

- لمن أضأتِ الشمعة؟

بدا صوت ريس ذا نغمة منخفضة بحيث لم يسمعه أحد سواها. استدارت سوريل لتنظر إليه، فيما قبضت على قبعتها، فألصقتها

بصدرها ووجهت لريس لمحة لابتسامة صغيرة. همست: «لطفلنا».

لاحظ ريس أن عينيها الزرقاوين اللطيفتين تغشيان بطبقة رقيقة من الدموع التي لم تذرفها. قاوم موجة الأسى التي غمرت قلبه، فوضع يده خلف خصرها. في اللحظات التالية أحس برائحة الورد تتحرك في الهواء... ولوهلة طغت على رائحة البخور التي انتشرت في المكان.

صدمت تلك الرائحة ريس، واستجلبت إلى ذهنه صورة والدته الفورية التي كادت تكون صادمة بوضوحها. تجمد ريس في مكانه... لطالما انبعثت من والدته رائحة الورود التي كانت أزهارها المفضلة.

- ريس؟!

استدارت سوريل فلاحظت نظرات التفاجؤ والصدمة المنعكسة في عيني زوجها الخضراوين المذهلتين، لذا أحست أن دقات قلبها تتسارع بدافع القلق، فسألته: «هل كل شيء على ما يرام؟».

سألها ريس بصوت أبح: «ما هو العطر الذي تضعينه؟».

هزت سوريل كتفيها وقد أحست بالارتباك إلى حد بعيد. قالت: «أنا لست أضع أي عطر اليوم. لماذا؟».

بدا ريس كأنه خرج من الغيبوبة التي كان فيها، فقال: «لا يهم، حبيبتي. دعينا نذهب. هلاّ فعلنا؟».

أحس بشكل ما أنه مُنح هدية نادرة، لكنه لم يفهم فعلاً كيف ولماذا. قاد زوجته برفق بعيداً عن السكينة السائدة داخل الكنيسة الصغيرة، فخرجا إلى وهج شمس ما بعد الظهر الحارة.

كان ريكاردو وزوجته إينيز ينتظران ريس وسوريل عند عودتهما. عندما توقفت سيارتهما المستأجرة أمام المنزل، ركضت إينيز مسرعة خارج المطبخ حيث كانت تعمل، أما ريكاردو فظهر من إحدى الشرفات ليحييهما. بدا ريكاردو طويلاً ونحيلاً خلافاً لزوجته القصيرة الممتلئة الجسم، أما وجهه فيتمتع بلون أسمر غامق لوحته الشمس، وعيناه بنيتان تحيط بهما التجاعيد.

شدّ ريكاردو يد ريس بحماس عظيم وودّ كبير ثم عانقه، وفعل نفس الشيء مع سوريل. لكن معانقة إينيز العظيمة المفعمة بحب الأمومة كادت تجعل سوريل تذوب من تدفق العواطف داخلها. إن للمرأة خمسة أولاد ناضجين، بالإضافة إلى العديد من الأحفاد، إلا أن مخزون الطاقة والحماس والعاطفة لديها يبدو بغير حدود.

- يا ابنتي اللطيفة! يا ابنتي اللطيفة!

دندنت إينيز بذلك وهي تلامس وجه سوريل وتمسد شعرها، كما لو أنها بالفعل طفلة، ثم تابعت: «أصبحت نحيلة جداً! ما هذا؟ أما عدت تأكلين؟ أخبريني!».

تلاقت عينا إينيز مع عيني ريس من فوق كتف زوجته. من الواضح أنها نظرت إليه كي تحظى بتفسير لما رأته من ضعف سوريل غير المقبول.

أقر ريس وقد ظهرت في صوته نبرة أسف واضحة: «لا يمكنني أن أحملها على تناول الطعام، إينيز. يمكنك أن تبلي أفضل مني، فتغريها بطهوك الرائع مادمنا موجودين هنا».

أعلنت إينيز بنبرة صارمة: «نعم، نعم! يجدر بها أن تأكل! هذا ليس جيداً، فهي نحيلة جداً. أعددت لكما أحد أفضل أطباقي لهذه الليلة، وإذا لم تستمتعا به فذلك سيفطر فؤادي!».

أومأ ريكاردو بحكمة، قائلاً: «إنها على حق. الطعام وسيلة رائعة للشفاء عندما يعاني المرء من أوقات صعبة».

أضاف جملته الأخيرة فيما تبادل وزوجته نظرة سرية من التفاهم المتبادل.

عبس ريس للحظة واضعاً يديه على وركيه. يبدو أن نهاره هذا مليء بأحداث غريبة. أولاً، إحساسه الغريب بوجود والدته في تلك الكنيسة الصغيرة، والآن هذا... لم يدرك ريس حقاً كيف عرف ريكاردو وإينيز بحدسهما أنه وسوريل يواجهان «أوقاتاً صعبة»، فهو لم

يذكر أي أمر مماثل لهما على الإطلاق.

- أعدك أنني سوف أستمتع بطهوك اللذيذ هذه الليلة، إينيز. سوف أبذل مجهوداً كبيراً خصيصاً لك. لكن الآن بالذات أظنني بحاجة لأن أحتمي من الشمس لبرهة قصيرة. هل تمانعين؟

اعتصرت سوريل يد إينيز باعتذار حقيقي، ثم قالت: «أنا أشعر ببعض الارهاق، وربما من الأفضل أن أذهب لأستلقي قليلاً».

- هل يمكنني أن أحضر لك أي شيء يا طفلتي؟ ربما كوب كبير من مشروب بارد؟ سوف أحضره إلى غرفتك.

أسرعت إينيز مبتعدة باتجاه المطبخ، وما إن استدارت سوريل متجهة نحو المنزل حتى شعرت بيد ريس على ذراعها.

طالبها ريس وقد أحس بالقلق قائلاً: «هل أنت بخير؟».

طمأنته سوريل من دون أن تلاقي نظراته فعلاً، إذ قالت: «نعم، أنا بخير. أنا فقط أعاني من صداع خفيف، هذا كل شيء. أنا لست معتادة على الشمس القوية بعد».

قال ريس: «اذهبي وارتاحي. سوف آتي لأطمئن عليك لاحقاً».

ثم ترك يده تسقط إلى جانبه.

لم تكن سوريل تكذب عندما أخبرته أن الشمس جعلتها تشعر بالارهاق، لكن العواطف أيضاً كانت تضغط بثقلها عليها، إذ جعلتها تشعر بالوهن وبالرغبة في البكاء. تساءلت سوريل اليوم كيف يفترض بها أن تستمر بالعيش في حين أن غمامة دائمة من الحزن تبدو كأنها تعيق كل خطواتها. فكرت بذلك اليوم في الكنيسة الصغيرة وهي تضيء الشمعة وتصلي لأجل طفلها. إنها وريس لم يدنوا بعد من حل الصعوبات التي تواجههما. كم من الوقت يمكن لريس أن ينتظر؟ لقد فكر من قبل أن ذلك يكفي، واستنتج أن الطلاق هو الحل الحقيقي الوحيد لمشاكلهما. إنه رجل نشيط مليء بالحيوية، ويتمتع برغبات أي رجل سليم، ولا شك أنه سيلاقي وفرة من النساء المهتمات بمساعدته

على تحقيق ما يحتاجه إذا ما قرر إنهاء زواجهما.

أغمضت سوريل عينيها على أفكارها المسببة للعذاب، فأدارت وجهها نزولاً نحو الوسادة وصلّت لكي تتمكن من النوم، علها تأخذ فترة راحة من أساها الذي يبدو لامتناهياً.

يا له من حلم مروع!

تعلقت سوريل بغطاء السرير فشدته إلى جسدها، بينما علقت حبيبات العرق على جبينها. أخيراً، رمت الغطاء جانباً، فجلست مستقيمة في السرير ثم أرجحت رجليها من فوق حافة السرير. حدّقت نزولاً نحو رداء نومها الزهري الطويل. وفي نهاية الأمر تنبهت إلى أن كل شيء على ما يرام. لم يكن هنالك نزيف حقيقي كما رأت في حلمها، كما أنها لا تعاني من أي نوع من الآلام الجسدية. لا! الألم العاطفي والنفسي فقط هو ما يهددها بسلب أنفاسها.

شبكت سوريل ذراعيها أمام معدتها، ثم انحنت إلى الأمام وأخذت تتأرجح إلى الخلف وإلى الأمام بإيقاع حاد قديم قِدَم الزمان. حاولت يائسة أن تتحكم بأساها. بدت أشبه بالحيوان الجريح وقد وقع أرضاً من دون أن تحظى بشخص واحد يهتم لكونها محبطة وجريحة إلى هذا الحد. أحست أن روحها تصرخ طلباً لذراعين قويتين تمسكان بها، وتشهدان على ألمها من دون أي كلام. إنها بحاجة إلى ريس!

توجهت سوريل نحو الباب من دون أن تدرك حتى أنها نهضت واقفة على قدميها. وجدت نفسها تسير حافية القدمين نحو الغرفة الصغيرة التي تبعد قليلاً عن غرفتها. فتحت الباب وحدقت بهيئة ريس المنبطح على السرير تحت الغطاء القطني. تمكنت من رؤيته بوضوح بسبب ضوء القمر الذي سطع عبر النافذة، وبفضل النور الخافت المنبعث من البهو خلفها. رأت إحدى ذراعيه القويتين المكسوتين بشعيرات ذهبية مرمية إلى جانبه، فارتعدت بعنف بسبب القوة والجمال الصرفين اللذين يتمتع بهما هذا الرجل.

كادت سوريل ترتجف فزعاً عندما فتح ريس عينيه فجأة، فيما بدت هي غير واثقة إن كان يجدر بها أن تقصده أصلاً. رفع ريس جسمه فاستند إلى أحد مرفقيه، ودرس ملامح سوريل بقلق فوري انعكس على وجهه، ثم قال: «ما الخطب؟».

ترددت سوريل للحظة فقط، ثم أغلقت الباب خلفها وعبرت الغرفة متجهة نحوه، لتقف إلى جانب السرير تماماً.

سألته بنبرة قلقة: «هلاّ احتضنتني؟».

كاد حلقها ينسد من شدة الألم الذي أحست به وهي تنطق بهذه الكلمات.

لم يكن ريس بحاجة إلى التماس أكبر من هذا، إذ مدّ يده نحو سوريل وجذبها لتنزل إلى جانبه، قائلاً بصوت خشن: «تعالي، حبيبتي!».

اندست سوريل تحت الغطاء المثقل بالدفء، فاستلقت وهي تدير ظهرها له، سامحة له أن يمسكها ويشدها بإحكام لتلتصق بصدره. ما إن غمرتها حرارته وقوته، حتى أشبعت أحاسيسها بالرائحة العطرية المنبعثة من جسده. أخذت ترتعد من قوة العواطف التي اكتسحتها، أما ريس فدندن إلى جانب أذنها قائلاً: «أخرجيه حبيبتي! أخرجي كل ما في داخلك. أنا هنا الآن... أنا هنا».

٩ ــ تغيير أم أوهام

كل ارتعاشة وكل ارتعادة أطلقتها سوريل بدت لريس كالسكين التي تفتت قلبه إلى قطع صغيرة. أمسك بها بقوة بالقرب منه، فاحتضن جسدها النحيل المرتعش. أراد أن يبكي، أيضاً، ليس فقط بسبب المأساة التي وقعت لطفلهما المنتظر، بل أيضاً بسبب فقدان الثقة والحب اللذين تشاركا بهما في ما مضى بشغف كبير.

تحسس ريس شعر سوريل الناعم كالهمس الذي انتشر فوق الوسادة إلى جانبه، فلامسه برقة. استنشق رائحته وهو مغمض العينين، شاعراً بالألم والمتعة اللتين يسببهما له دنوها منه على حد سواء... إنه قرب افتقد له ريس أكثر من أي شيء افتقده في حياته على الإطلاق. فقط خسارته لوالدته تساوي هذه الخسارة.

– حاولي أن تنامي الآن، حبيبتي. أنا هنا لأجلك، وأعدك أنني لن أذهب إلى أي مكان.

لامس ريس بشفتيه شعر سوريل، وأقسم بصمت أنه سوف يمسكها بحزم حتى آخر الليل إذا سمحت له سوريل بذلك، حتى لو حصلت هزة أرضية أو رعد أو طوفان. فيما تابعت سوريل التنهد والنشيج وهي تلقي رأسها على الوسادة، علم ريس أن أية كلمات أخرى ليست ضرورية...

تسللت أشعة الشمس المشرقة من خلال النوافذ غير المغطاة بالستائر، ما جعل سوريل تفتح عينيها ببطء شديد. أحست بوزن ما

يسمّرها إلى السرير، وحين أدركت أنها ذراع ريس المثبتة كالمرساة فوقها، لم تقوَ إلا أن تطلق شهقة. كانت سوريل قد نامت كما لو أنها مخدرة بقوة، فبالكاد حركت أية عضلة. أما الآن فشعرت بالصدمة عندما تذكرت أنها جاءت إلى غرفة نومه باختيارها وإرادتها. جاءت بحثاً عن الراحة والتعزية بسبب الكابوس الذي قضّ مضجعها، أما ريس فأمسك بها وأبقاها بأمان بين أحضانه طيلة الليل.

لم تكن سوريل واثقة مما ستقوله له عندما يستيقظ. حدقت إلى الأعلى نحو السقف محاولة التفكير بشيء ما لتقوله له، فيما تمنت لو أن رأسها يتوقف عن النبض بقوة شديدة. فضلاً عن الألم الذي أحست به في صدغيها فإن جسدها بأكمله قد استيقظ متأوهاً. أخذتها على حين غرّة تلك الحاجة التي بدت كأنها تقبض عليها بسبب قربها الشديد من زوجها. مرت فترة طويلة جداً منذ أن تشاركا في سرير واحد، حتى إن سوريل نسيت كم هو مبهج أن يكونا معاً لاسيما في الصباح الباكر.

حركت رجلها، فبدا لها أن الحرارة تدب في كل أنحاء جسدها. أنّ ريس بنعومة إلى جانبها فيما بدأ يستفيق من النوم، انحرفت يده لتحضن خصرها من فوق رداء نومها. ما كان بمقدور صدمة كهربائية أن تخدّر أحاسيسها أكثر من تلك اللمسة. عضت سوريل على شفتها، وبالكاد تجرأت على استئناف النفس. بعدئذٍ رفع ريس رأسه وابتسم لها، أما تعابير وجهه فبدت جذابة تماماً.

رمشت سوريل لتردع التأثيرات اللاذعة التي تطلقها نظرات ريس الزمردية المسمّرة عليها، والتي كادت تعميها من شدة حدتها. قالت بصوت أبح: «صباح الخير».

فكر ريس أنه لابد أن يكون صباحاً خيراً ما دامت سوريل قد عادت إلى سريره، وهي هنا بمحض إرادتها. تذكر أحداث الليل. وأحس بنبض من الدفء في صدره لا يمكنه نكرانه. مدّ إلى الخلف

خصلة شعر عسلية بعيداً عن جبين زوجته الباهت الناعم، فأحس بتسارع من الحماوة يغمره عندما رأى عيني سوريل الزرقاوين الجميلتين تتحولان إلى ذاك اللون الدخاني الذي يقول إنها تتوق إليه كما يتوق إليها.

- صباح الخير لك أيضاً، يا جميلة.

- يجدر بنا أن ننهض، فأنا بحاجة ماسة إلى كوب من الشاي.

- وأنا بحاجة ماسة إلى... عناق.

قبل أن تتمكن سوريل من الرد على هذا الإعلان غير المتوقع، كان ريس قد أخفض رأسه وعانقها عناقاً شغوفاً حامياً. ترنح قلب سوريل بانفعال من شدة الابتهاج، أما الوخز الذي أحست به فكاد يجعلها ترغب بالخروج من جلدها. لا بد أن هذا الرجل خبير في الإغواء! استنتجت سوريل ذلك وهي تشعر بالدمار، أما تنهداتها فبدت كأنها تحدث جلبة طلباً للمزيد من العناق. حتى عند الصباح، يبدو ريس شديد الجاذبية، إنه دافئ قوي، ورائع.

- هـ...مم... ذلك رائع!

عبست سوريل وهي تطلق نفساً مرتعشاً. بغض النظر عن مدى حلاوة عناقه ولمساته، لكنها ليست مستعدة بعد لمثل هذا الاجتياح لأحاسيسها. على أي حال ما الذي يمكنها أن تفعله حيال ذلك؟ ما زال أمامها ما يقارب الثلاثة أسابيع قبل أن تتمكن من إقامة علاقة زوجية بشكل آمن وسليم.

أحست سوريل بالشك وبالخوف المفاجئين يرتعدان عبر جسدها، فتعمدت سحب نظراتها بالقوة بعيداً عن الوعد الذي يغلي على مهل في عيني ريس، وقالت: «يجدر بي أن أنهض».

- لِمَ أنت على عجلة من أمرك، يا ملاكي؟ نحن في إجازة... أتذكرين؟

- أنا... أنا بحاجة... إلى دخول الحمام.

- أواثقة أنت من أنك لست تهربين فقط؟

توقف ريس عن تحريك يده فوق خصرها، وأسر نظراتها بنجاح. لم تشعر سوريل بالارتياح للشك الذي رأته متربصاً في عينيه، لذا دفعت بنفسها لتجلس مستقيمة، ثم مرّرت أناملها بتوتر من خلال شعرها الأشقر المشعث.

- ممّ سأهرب؟

- منّا نحن... من الحميمية بيننا. لسنا في الواقع بحاجة لأن نقطع الطريق بأكمله كي نستمتع بوقتنا معاً سوريل.

كلمات ريس المعسولة أطلقت ألماً في أعماقها. شعرت كأن شيئاً ما في داخلها يتوسل إليها كي تسمح له أن يبرهن لها ما يقوله. آه! شعرت سوريل بالنشوة لمجرد سماعه يقترح أنه ما زال يرغب بإرضائها! لكن هناك ما يقبع تحت سرور سوريل ويهدد بجرها لتعود مباشرة إلى الأسفل نحو الظلام المعتم. إنه شعور عميق بغير الملائمة والخوف. إن عدم تمكنها من حمل طفل الرجل الذي تحبه صدمها في عمق أنوثتها. كيف يعقل أن تستحق منه ذلك الاهتمام في حين أنها تشعر بالسوء الشديد حيال نفسها؟ من الواضح أنها لم تكن جيدة بما فيه الكفاية، وإلاّ لما حصل معها هذا الأمر المريع. أتراها تُعاقب لأنها أرادت الحصول على الكثير من وقت زوجها واهتمامه؟ لطالما قال لها ريس إنه يعمل بكد لأجلها، لأنه لا يريدها أن تُحرم من أي شيء ترغب به. لكن ماذا لو كانت رغبتها هي أن تنجب طفلاً وأن تحصل على زوج يتواجد في المنزل فترة أطول؟ زوج يرغب بأن يكون جزءاً متكاملاً من العائلة الصغيرة التي أسساها؟

- أنا... أنا شعرت بالسرور لاحتضانك لي ليلة أمس، ريس... فعلاً لقد استمتعت بذلك. لكنني لست مستعدة لأي شيء أكثر حميمية الآن. لأكون صادقة معك... أنا خائفة من أن نكون حميمين مجدداً. تنتابني مشاعر مرعبة في داخلي حيال خسارة الطفل، أنا لا

أشعر أنني بحال جيدة بما فيه الكفاية، ولست أدري ما أفعله بهذه المشاعر. لقد خانني جسدي، وأحياناً أظن أن الخوف يكاد يسبب لي الجنون! أرجوك لا تظن أنني أستغلك بأي شكل من الأشكال. أنا... أنا فقط كنت بحاجة لأن تحتضنني لبعض الوقت.

- لِمَ لم تخبريني ما الخطب؟ كان بمقدوري أن أساعدك سوريل. ما زال بإمكاني ذلك. يمكننا حتى أن نطلب استشارة أخصائي ما دمنا موجودين في البرتغال. لدي الكثير من المعارف... إنهم أشخاص يمكنني أن أطلب منهم النصح كي أجد أفضل أخصائي ليساعدك. لست في هذا وحدك، حبيبتي... حاولت أن أقول لك هذا طيلة الوقت. لا ترفضيني وتبعديني عنك. أما الآن، بما أنني أعرف ما تشعرين به، فلن أضغط عليك.

كان ريس قد سجّل الألم القابع خلف كلمات سوريل بأسى مذهل. بالرغم من ذلك لم يقدر على نكران إحباطه لعدم تمكنه من التودد كما يرغب إلى زوجته الجميلة.

لكن... لو تركا الأمر لفترة أطول بعد قبل أن يتواصلا معاً، فأي أمل سيتبقى لمستقبلهما سوياً؟ أراد ريس أن يبرهن لسوريل أنه يهتم لها، ويشاركها في أساها، لكن في نهاية الأمر هو مجرد رجل، والله وحده يعلم أن صبره يُختبر إلى أقصى حد عندما يتعلق الأمر بعدم تمكنه من لمس سوريل كما يتوق...

سمحت سوريل لنفسها بإطلاق تنهيدة خافتة، إذ فارقها بعض التوتر الذي كان قد تجمّع بين كتفيها. استطاعت أن تستنتج أن ريس أصيب بالخيبة لعدم تمكنه من التقرب منها كما هو واضح، لكنها رأت التفهم والتعاطف في عينيه أيضاً، فمنحها ذلك أملاً هائلاً. في حقيقة الأمر، إن جزءاً من سوريل علم أن ريس عانى معاناة عميقة بسبب خسارتهما، تماماً كما فعلت هي. لعل التزامه بعمله أعماه عن بعض حاجاتها العاطفية، لكن ريس ليس بطبيعته شخصاً بارداً. إذا قال إنه

يتألم، لا بد إذاً أن يكون هذا صحيحاً. لكن المسألة هي أن سوريل لا تعرف كيف تتواصل مع زوجها وكيف تريحه... إنها في الواقع لا تستطيع أن تريح نفسها أيضاً.

- شكراً لك. يسرني أنك تفهم شعوري. أنا فعلاً بحاجة إلى بعض المساعدة، ريس... لكن دعني أبحث عنها عندما أشعر أنني مستعدة لذلك.

- سوف نسير بالأمر خطوة تلو الأخرى. لا أحد يجبرك على القيام بشيء لست مستعدة له. ذهبنا إلى الجحيم وعدنا سوريل، وأعلم أن الأمور لن تعود إلى مكانها بالسهولة التي نتمناها، لكن لو عملنا سوياً، يمكننا أن نشق درباً أساسياً. ألا تظنين ذلك؟

آه، يا إلهي فقط لو يعلم ريس كم تتمنى ذلك! من الواضح أن الحل ليس بأن تجاهد كي تقف مجدداً على قدميها وتستعيد تقديرها لذاتها بنفسها. ما دام ريس مستعداً لأن يخوض الرحلة الصعبة التي تؤدي به إلى التكامل معها، فلا شك أنها سوف تتحسن من جديد.

ابتسمت سوريل بخجل، وقالت: «نعم... نعم، أنا أظن ذلك. هل أذهب وأعد لنا بعض الشاي الآن؟».

جذب ريس ذراع سوريل برفق كرد على سؤالها فأعادها إلى جانبه، وقال: «دعيني أحتضنك لفترة أطول بعد».

* * *

كان ريس مستلقياً بالقرب من مياه بركة السباحة الزرقاء الفاتحة المتألقة عندما سمع رنين الهاتف. تردد في الانسلاخ عن حلم اليقظة الناعس الذي كان يراوده. لكنه قام ومشى عبر الشرفة باتجاه غرفة الجلوس وهو حافي القدمين.

حيته أنجلينا كورتيز صاحبة النبرة المنومة مغناطيسياً. وبشكل تلقائي تحركت نظرات ريس نحو الجانب الآخر من الشرفة حيث كانت سوريل تجري حديثاً مع ريكاردو وهو يقوم بري النباتات. قال

ريس لنفسه إنه يجب ألاّ يشعر ولو بأقل مقدار من الذنب لأن زبونة مهمة تتصل به هاتفياً في منزله الخاص أثناء إجازته، لكنه علم أن سوريل لن ترى الأمور من هذا المنظار.

منذ أن دخلت سوريل إلى غرفة ريس في تلك الليلة، احتضنها هذا الأخير بشدة وهي تبكي. أصبحت النظرات التي توجهها له سوريل مليئة بالحذر والذعر، كما لو أنها غزالة يافعة تشك بأن حيواناً مفترساً يتربص بها... كما لو أنها بالكاد تجرؤ على التصديق أن بمقدورهما أن يقوما بشق الدرب الرئيسية لعلاقتهما... تلك الدرب التي تكلم عنها ريس.

بالرغم من ذلك حصل تطور غير متوقع عندما أقرّت له سوريل بأنها خائفة، ولا تشعر أنها بحال جيدة تماماً. قادته لبضع لحظات داخل عالمها الخاص من الآلام، فأقرت له أنها بحاجة إلى المساعدة. المخاوف التي نطقت بها جرحت ريس في الصميم. سوريل امرأة شابة جميلة ومذهلة، ولديها الكثير مما تستطيع تقديمه، بالرغم من ذلك هي لا تشعر بامتلاكها أياً من هذه الأمور، لأن خسارة الطفل فتحت جرحاً عميقاً في داخلها. تساءل ريس إذا كان هذا الجرح سيشفى أبداً. أما الأسوأ فهو أن ريس بالكاد يعرف ما هو الأمر الصواب الذي ينبغي أن يفعله لمساعدتها...

- هل كانت رحلتك جيدة إلى هنا؟

أجبر ريس نفسه على طرح هذا السؤال على المغنية الإسبانية، فيما أخبرته أنجلينا أنها وابنها الصغير جاءا إلى البرتغال الآن.

- رائعة! من الجيد أن أكون هنا، وقد عدت إلى فيلتي الجميلة مجدداً! أنا أتصل بك كي أذكرك بدعوتي إلى العشاء، عزيزي. هل يمكنك وزوجتك أن تحضرا إلى منزلي مساء عند الساعة السابعة؟ سأعطيك العنوان. هل لديك قلم؟

عندما عاد ريس إلى الشرفة بجانب بركة السباحة، كانت سوريل

www.elromancia.com

قد استقرت على الكرسي الطويل لتسترخي إلى جانبه وقد فتحت كتابها. رفعت بصرها إلى ريس من خلال نظارتيها الشمسيتين وهو يجلس، وسألته: «من كان المتصل؟».

لم يقوَ ريس على كبت التوتر الذي تسلل إلى جسده، فحاول أن يبقي نبرة صوته عادية قدر الإمكان. أخبرها منذ فترة أنه ليس مستعداً لأن يعاملها بإفراط في المراعاة والاهتمام، لكن أليس هذا ما يفعله الآن؟ تلك الفكرة أغضبته بالرغم عنه.

- أحد الزبائن.

حمل ريس الجريدة التي كانت موضوعة على الطاولة، ثم نظر من دون أن يرى شيئاً نحو الصفحة الأولى.

- هل أخبرته أنك في إجازة؟

بدت سوريل مرتبكة، وظهر بين حاجبيها ذاك الخط الصغير المألوف الذي يدل على القلق.

- هذا زبون هام جداً سوريل. هنالك بعض الأشخاص الذين لا يمكنني أن أتجاهلهم بسهولة.

بدت كلماته مشبوكة بانزعاج مخفي خلفها، فتساءلت سوريل عما إذا كان يكره هذه الإجازة المفروضة عليه مع زوجته التي تبعده عنها كلما حاول أن يتقرب منها. ليس هذا فقط، بل هي أيضاً تمنعه فعلياً من متابعة عمله... ذلك العمل الذي يحبه.

هبطت التعاسة على سوريل فغمرتها. قالت: «أنت تعرف ما خضناه من صعاب، مع ذلك ما زلت تضع حاجات زبائنك في المقام الأول؟».

بالكاد استطاع ريس أن يصدق ما يسمعه، في حين أن سوريل كانت قد وافقت صباح ذلك اليوم بالذات على أنهما سوف يعملان سوياً لمحاولة حل مشاكلهما.

- اللعنة، يا امرأة! ما الذي تريدينه مني بحق الجحيم؟

رمى ريس الصحيفة جانباً، ثم دفع بنفسه على قدميه وحدّق نزولاً نحو سوريل بنظرات ساخطة. في الجانب الآخر من الشرفة رأى ريس بطرف عينه أن ريكاردو المتفاجئ ينسحب بصمت.

- أنا أبذل قصارى جهدي هنا! ألا يكفيك أنني أخذت فترة استراحة كي أكون معك، كما عبّرت لك عن رغبتي بتصحيح مسار الأمور بيننا؟ هل يجب أن يكون كل شيء لعين أقوله أو أفعله نوعاً من الاختبار الذي يجدر بي أن أجتازه، قبل أن تتنازلي وتظهري لي بعض العاطفة أو الاحترام؟ إذا كان هذا هو الأسلوب الذي تنوين المتابعة فيه سوريل، إذاً لعلك كنت محقة... لعله يجدر بنا أن نتابع معاملات الطلاق اللعين!

- أنا آسفة إذا كانت هذه هي نظرتك إلى الأمور.

- لا! أنتِ لست آسفة... لست آسفة على الإطلاق! إن جل ما ترغبين بفعله هو التمرغ في تعاستك الحزينة الخاصة، وأن تجريني إلى الأسفل أنا أيضاً. اللعنة! إذا لم تتمكني من تمالك نفسك مجدداً، فمن الأفضل إذاً أن ننهي الأمر بيننا.

لم ينتظر ريس سماع ردّها. في الواقع لم يأبه في تلك اللحظة بالذات لما سيكون عليه ردها. مشى بخطوات واسعة مبتعداً، ثم اختفى خلف أبواب الفناء قبل أن تتمكن سوريل من مناداته ليعود.

* * *

ارتجفت يد سوريل وهي تحاول وضع أحمر الشفاه ذي اللون الزهري الجميل أمام مرآة الحمام. تجاهلها ريس عملياً طيلة ليلة الأمس وغالبية هذا النهار، باستثناء أنه قام بإبلاغها بعبارات جافة أنهما سوف يكونان ضيفي أنجلينا كورتيز على العشاء تلك الأمسية في فيلتها التي تقع بألمانسيل قرب وادي لوبو. كلمة «صدمة» بدت غير مناسبة بما فيه الكفاية لتصف ما شعرت به سوريل عندما علمت أن أنجلينا موجودة في البرتغال في الوقت نفسه. كاد قلبها يرتطم بقوة

شديدة بأضلاعها لدى سماعها هذا الخبر، حتى إنها تساءلت كيف لم تشعر المنطقة بأسرها بمدى إحباطها وكربتها. أتراهما خططا لهذه الدعوة الصغيرة إلى العشاء بينهما خفية عنها؟ لا بد أنهما فعلا. لابد أن ريس أخبر نجمة الأوبرا أنه سوف يقصد هذا البلد برفقة زوجته، وإلا كيف تراها حصلت على رقم هاتف منزله هنا في البرتغال؟

هذا الموقف بحد ذاته هو حتماً نداء لتستفيق. من الواضح أن ريس على حق. لعلها انغمست فترة طويلة في «بؤسها الحزين»، كما سماه ريس. أما الآن فهي بحاجة لأن تقاوم من أجل زواجها، إذا كان هذا ما تريده فعلاً. طعن الخوف أحشاء سوريل بقوة هائلة لدرجة أنها أحست بالسقم والمرض عندما فكرت في احتمال العيش وحيدة من دون ريس لبقية حياتها. لقد فقدت طفلها الغالي للتو، أما أن تفقد زوجها وحب حياتها... إنها فكرة مريعة جداً لا تحتمل.

إن نجمة تتمتع بجمال أنجلينا وموهبتها قادرة على الحصول على أي رجل ترغب به، لكن سوريل لم ترغب يوماً بسوى ريس... بغض النظر عما يظنه هو. لذا فهي سوف تبذل قصارى جهدها كي «تتمالك نفسها». جعلتها هذه العبارة مصممة على تذكير زوجها بتلك المرأة التي وقع في حبها وتزوجها... في السراء والضراء.

* * *

بدت الفيلا أنيقة جداً. إنها جميلة الديكور والتصميم، لكنها ليست بالمنزل الفخم الشبيه بالقصر على الإطلاق، ليس كما توقعتها سوريل. بدت أشبه بالمنزل المحبوب جداً أكثر منها منزلاً فخماً. إذا كانت أنجلينا المذهلة قد رحبت بريس بحرارة زائدة نوعاً ما، فإن سوريل فوجئت بترحيب أنجلينا الموازي في الحماس لدى استقبالها لها أيضاً.

استرقت سوريل نظرة خاطفة باتجاه زوجها فيما جلسوا بشكل دائري على أرائك مريحة في غرفة الجلوس الساحرة، حيث زُيّن كل

رف وكل مسطح بصور فوتوغرافية شخصية للعائلة والأصدقاء. كان ريس يرتدي سروالاً كتانياً غير رسمي مع قميص كتانية بيضاء عادية، أبرزت مظهره الأسمر الوسيم بشكل يرغم العين على النظر إليه. تاقت سوريل لأن يلاحظها ريس كما يبدو أنه يلاحظ أنجلينا. النجمة الإسبانية ارتدت فستاناً من اللون الأحمر القاني ذو قبة مفتوحة حتى الصدر. أما شعرها الأسود فمرفوع إلى الأعلى على شكل عقدة أنيقة مذهلة. عندما أخذت تتحرك راحت الأساور الذهبية الرفيعة تقرقع في يدها، فيما عبق عطرها الغريب معطراً الهواء في الغرفة.

أحست سوريل أنها أشبه بفأرة رمادية صغيرة تجلس قبالة قطة سيامية ناعمة جميلة، فهي ترتدي فستاناً أزرق صيفياً من دون ربائط، وقد وضعت وشاحاً فضياً شفافاً عليه رذاذ من النجوم الزرقاء الباهتة اللون، أضافت سوريل هذا الوشاح من أجل تلبية دعوة العشاء.

- سوريل... آمل أنك لم تشعري بالانزعاج لأنني جررتكما بعيداً عن عطلتكما حتى تنضما إلي إلى العشاء؟ عندما اكتشفت أن ريس سيكون موجوداً هنا في البرتغال، لم أقوَ على مقاومة دعوتكما لزيارتي. فضلاً عن كون ريس المروّج الوحيد الذي أثق به للاشراف على جولاتي الغنائية، فأنا أستمتع كثيراً برفقته. إنه مثال الرجل النبيل التام... دوماً! نحن الثلاثة فقط موجودون هنا هذه الليلة، لذا لابد أن تستندا كلاكما وتسترخيا. مدبر منزلي نيبي يقوم بإعداد العشاء لنا، وهو أحد أروع الطهاة على الإطلاق!

ثم استأذنت أنجلينا منهما واختفت من الغرفة.

بدا الصمت الذي ساد في غيابها ملحوظاً جداً. تلوّت سوريل بعدم ارتياح فيما جلست على الأريكة الجليدية البيضاء الأنيقة، وقامت بفرك راحتي يديها بغرابة نزولاً على جانبي فستانها.

- لو كنت تفضل عدم مجيئي إلى هنا هذه الليلة كان يجدر بك أن تقول هذا.

عندما لاحظ ريس النظرة المتألمة في عيني سوريل، تراجع عن الرد القاطع الذي طرأ على ذهنه على الفور. لو أن سوريل أشارت له ولو مرة واحدة أنها تفضل البقاء في المنزل كي يحاولا حل مشاكلهما، لرضخ حتماً وبكل تأكيد لطلب زوجته. صحيح أنه أخبرها أنهما ذاهبان إلى العشاء بنبرة لا تحتمل الجدال، لكن سوريل لم تقل أي شيء. جل ما أراد ريس أن يفعله في تلك اللحظة بالتحديد هو أن يحجز تذكرة على متن أول رحلة متوفرة باتجاه الديار، وذلك بسبب تفكيره أن سوريل على الأرجح تبني المزيد والمزيد من الكراهية تجاهه، ولأن الأمسية حتماً سوف تنتهي بجدال مرير آخر بينهما. لكن ما الجدوى من ذلك؟ عاجلاً أم آجلاً يجدر بهما أن يتوصلا إلى تفاهم متبادل مشترك بخصوص مستقبلهما. تمنى ريس عندما راودته تلك الفكرة لو أنه لم يكن يشعر كما لو أن صدره مدفون تحت أطنان من الصخور. إن الأمر يتضح له أكثر فأكثر، هو وسوريل قد لا يتشاركان المستقبل سوياً على الإطلاق!

قال ريس بانزعاج: «أنا أردتك أن تحضري».

أحس أنه سينفجر خلال أية لحظة إذا ما تفوهت سوريل بأقل تلميح يشير إلى معارضة هذا التصريح. كره نفسه لأنه حساس جداً وسريع التأثر مع سوريل، لا سيما بعد ما عانت منه في الفترة الأخيرة، لكنه ذكّر نفسه أنه أيضاً عانى بدوره، وما زال يعاني. ما إن وقعت نظراته الزمردية على سوريل الآن، وهي تبدو جميلة جداً وساحرة بفستانها الصيفي الأزرق البسيط مع الوشاح اللماع، حتى تملكه توق شديد بأن يأخذها إلى مكان بعيد ليعانقها بشغف، تماماً كما عانقها صباح ذلك اليوم، عندما استيقظ ليجدها تشاركه سريره. بالطبع منذ ذلك الحين عادت سوريل لتنام منفردة، ولا شك أنها

سوف تدفعه بعيداً عنها لو حاول أن يقوم بأي نوع من التقرب منها.

- ريس... أنا فعلاً أود أن...

تراجعت سوريل عن محاولتها المترددة بالمصالحة عندما عادت أنجلينا مندفعة إلى الغرفة عبر الباب، وهي تحمل زجاجة من العصير مع صينية عليها أكواب. من جديد عاد عطر المرأة الحار الرطب بالإضافة إلى حضورها الطاغي يفرضان نفسيهما بلا شك في أجواء الغرفة. هل تستطيع سوريل حقاً أن تلوم ريس لأن نظراته تحولت نحو أنجلينا إعجاباً بها، عوضاً عن زوجته؟

- بالمناسبة، أنا آسفة لأن حبيبي إيمانويل لم يتمكن من البقاء مستيقظاً ليتعرف إليكما، لكنه في الخامسة من عمره فقط ويصاب بالإرهاق سريعاً. أنتما تعلمان كيف هو الحال مع الصغار، أليس كذلك؟

أدارت أنجلينا عينيها السوداوين الجميلتين نحو سوريل. بالطبع لم يكن، بمقدورها أن تعلم أن آخر جملة تفوهت بها اخترقت قلب زائرتها كالمنجل. لكن ما إن رفعت سوريل نظراتها الجريحة نحو ريس حتى لاحظت الهلع الوجيز يتبعه القلق في نظرات زوجها. أطلقت سوريل الأنفاس التي استنشقتها بصعوبة، ثم أجبرت نفسها على إطلاق ألمها...

- شقيقتي لديها ولدان صغيران، لذا... نعم... أنا أعلم فعلاً كم يشعران بالارهاق مساء.

أضافت سوريل ابتسامة إلى كلماتها، لكنها لم تلاحظ ريس وهو يرخي كتفيه بينما اختفى تدريجياً بعض التوتر الذي أحاط بفمه.

في وقت لاحق من ذلك المساء، وبعد أن تناولوا العشاء الرائع اللذيذ، أعلنت أنجلينا أنها ترغب بأن تأخذ ضيفيها في جولة على أرجاء فيلتها الجميلة، التي يتم الاعتناء بها جيداً. استأذنت سوريل لتذهب إلى الحمام بعد ما وقف كلاهما لينضما إلى أنجلينا. تركت

سوريل زوجها ليرافق مضيفتهما إلى الخارج نحو نسيم المساء الدافئ، بينما دخلت هي إلى الحمام، ثم أغلقت الباب خلفها ممتنة.

بدا العشاء برفقة أنجلينا ممتعاً بشكل مفاجئ كما بدا مسلياً. لم يكن مكدراً كما توقعت سوريل. لكن مع انقضاء الأمسية، بدأت سوريل تشعر بالارهاق المحتوم يتسلل إليها.

تفحصت ساعة يدها مطلقة تنهيدة صغيرة، فيما تساءلت كم سيطول بقاؤهما بعد قبل أن يتمكنا من الاستئذان بلباقة وينصرفا. بعد أن فكرت بالأمر الآن، أدركت سوريل صدقاً أنها تحب أن تتعرف بابن أنجلينا الصغير. ليس لأنها أرادت أن تنغمس في بؤسها الحزين لعدم تمكنها من انجاب طفل، لكن لأنها تشعر بارتياح أكبر برفقة الأطفال، أكثر مما تشعر به مع البالغين. أدركت أنها تفتقد إلى ابن وابنة شقيقتها اللذين أقامت معهما لما يقارب الشهر من الزمن. لذا قررت أن تتصل هاتفياً بميلودي في اليوم التالي كي تقوم بترتيبات حتى تقابلهم جميعاً حالما يعودان إلى المملكة المتحدة.

غسلت سوريل يديها، ثم رتبت شعرها وأعادت وضع القليل من أحمر الشفاه، وذهبت بحثاً عن زوجها وعن مضيفتها.

١٠ ــ وانقشع الضباب...

- إذاً سوف تفكر بما قلته لك عزيزي... أنت تعلم أن هذا يعني لي الكثير.

استطاعت سوريل أن تسمع أنجلينا وهي تقدم عريضة لإقناع ريس، فيما وقفا خلف سياج من الأزهار العطرة التي تملأ الأجواء. توقفت سوريل فجأة عندما وصلت إلى درب في الحديقة مضاء بالأنوار، وأجفلت كما لو أن صاعقة ضربتها. ما هو الأمر الذي تتحدث عنه المرأة بحميمية شديدة مع ريس؟ أيعقل أن شكوكها الخاصة تتحقق؟ أتراهما حقاً يخوضان علاقة غرامية، أم أنهما ببساطة على وشك البدء بخوض علاقة؟ هل وصلت الأمور بينها وبين ريس إلى هذا الطريق المسدود المؤسف، لأنها لم تتمكن من تخطي حزنها حيال قساوة خسارة طفلها، إلى درجة أنها لم تدرك أن لريس حاجات خاصة به أيضاً؟

إذا كانت أنجلينا تنوي القيام بجولة غنائية في الولايات المتحدة، ووافق ريس على الترويج لتلك الجولة، فسوف تتشابك دروبهما يومياً تقريباً. ذلك سوف يعني أيضاً أن ريس سيسافر بعيداً عن المنزل لأشهر متواصلة. يا لها من فرصة للمصالحة ولتجديد زواجهما!

- أعدك بأن أمنح الأمر تفكيراً جدياً، أنجلينا.

ردّ ريس متفكراً، أما سوريل فلاحظت ابتسامة في صوته. تابع قائلاً: «هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك الآن عزيزتي، لكنني حتماً

www.elromancia.com

سوف أتصل بك هاتفياً خلال بضعة أيام».

ما هو الموضوع الذي ينوي أن يفكر به جدياً؟ شعرت سوريل بالهلع. أتراه سيفكر بإمكانية خوض علاقة غرامية مع نجمة الأوبرا الجميلة، أم بالترويج لجولتها الأميركية؟

حاولت سوريل أن تهدئ أنفاسها متجاهلة الزئير الهادر في أذنيها. استنشقت نفساً عميقاً مرتعداً، ثم مشت إلى الأمام كي تنضم إلى زوجها وإلى مضيفتهما. إن آخر شيء تود أن يتهمها به ريس هو أنها تتربص في الظلال كي تتجسس عليه وهو يتحدث مع أنجلينا.

- مرحباً!

ابتسمت سوريل وهي تتكلم، فيما تعمدت أن تبقي صوتها خفيفاً مرحاً كي لا تنبه ريس إلى حقيقة أنها سمعت بعضاً من حديثهما. لم تقوَ إلا أن تلاحظ أن الابتسامة التي صبغت صوت ريس وهو يكلم أنجلينا لم تعد ظاهرة عندما استدار لينظر إليها هي... زوجته. أحست سوريل أنها مهجورة لأن ريس لم يرد على تحيتها أيضاً. هزّت كتفيها، ثم عادت واستدارت نحو أنجلينا عوضاً عن ذلك.

اتجهت قدماها بعيداً عن أنجلينا وريس، فيما سألت سوريل مضيفتهما: «هل تمانعين لو ألقيت نظرة في أرجاء المكان؟».

- تصرفي على سجيتك، عزيزتي.

لوحت أنجلينا لها، ثم شبكت ذراعها بذراع ريس ببساطة، وقادته في الاتجاه المعاكس...

* * *

مشى ريس إلى الخارج نحو الشرفة وهو يرتشف قهوته. على الفور أسرت أحاسيسه العطور الساحرة العابقة المنبعثة من نبات الخزامى الأبيض والبوغانفيلا الحمراء. تناهت إلى سمعه الأصوات المألوفة لحشرات الليل المندمجة بشكل تام مع نسيم الليل المعتدل، بالإضافة إلى عطور الأزهار الزكية التي اتجهت نحوه.

كانت سوريل قد قصدت الفراش منذ فترة طويلة، فيما بقي ريس بمفرده في الخارج مع أفكاره، سامحاً للسكون أن يغمره. أخيراً استطاع أن يزفر ويطلق العنان لإحباطه وآلامه المتعلقة بزواجهما. بكل بساطة سوف يضطر إلى أن يمنح سوريل حريتها، فما الجدوى من محاولة التمسك بامرأة يبدو من الواضح أنها لم تعد تهتم به؟ يبدو أنهما فقدا القدرة على التواصل مع حاجات بعضهما البعض، كما أنهما خرقا العهود التي نطقا بها بشغف كبير يوم زفافهما. ما عادت عينا سوريل تشعان بالنور عندما يدخل ريس إلى الغرفة، أما فمها فما عاد يبتسم على الفور مرحباً به بعد أن يعود من رحلاته الطويلة البعيدة عن المنزل. كما أن تصرفاتها تجاهه كادت تتجاوز حدود الكراهية... وازداد ذلك أكثر منذ أن فقدت طفلها... باستثناء ذلك الصباح الوحيد، عندما سمحت له بالدخول إلى قلبها لفترة وجيزة.

ضغط ريس يده الباردة على جبهته الحامية، فخنق أنيناً معترضاً. لوهلة شعر أنه مأسور تماماً بارتعادة، حين فكر بالطفل الذي فقداه. أتراه كان صبياً أم فتاة؟

لا تتطرق إلى هذا الموضوع! حذّره صوت داخلي في أعماقه، فسمح للألم اللاذع أن يأسره بقوة وانتقام لفترة وجيزة. هل كان الطفل جميلاً كسوريل، وربما يتميز بالعينين الزمرديتين الغامقتين كعيني ريس؟ بغض النظر عما كان طفلهما سيبدو عليه، فإن ريس كان سيحبه أو يحبها من أعماق قلبه من دون تحفظ.

هل ستفكر سوريل بمحاولة إنجاب طفل آخر منه؟ كادت جلبة نبضات قلبه القوية تصمّ أذنيه. أتراها سترغب بالمحاولة من جديد بالرغم من كل ما حصل بينهما؟ أم أنه مقدر له أن يمضي حياته من دون أن يعرف حتى كيفية شعوره عندما يصير والداً؟

بشكل ما علم ريس أن تلك مأساة حقيقة. إذا ما افترق عن سوريل لربما يتعرف إلى أحداهن، ولربما ينجب طفلاً مع تلك المرأة

الأخرى. لكن الآن بالذات بدت هذه الفكرة محرمة وملعونة. شعر بالأسف والندم البالغين لأنه لم يتحدث أبداً مع زوجته أكثر بخصوص ما ترغب به من علاقتهما.

إن أراد أن يكون صادقاً مع نفسه، فهو كان يعلم طيلة الوقت أن سوريل ليست فتاة نموذجية تلاحق مهنتها. حتى مهنة عرض الأزياء بجاذبيتها وتألقها لم تتمكن من أسر اهتمام زوجته الجميلة. إنها امرأة فريدة مميزة، تتمتع بأفكارها الخاصة المتعلقة بأسلوب رغبتها في أن تعيش حياتها. أما الآن، فهناك أمران أصبحا واضحين وضوح الشمس بالنسبة إلى ريس. أولاً، إن سوريل خُلقت خصيصاً كي تصير أماً لا فتاة تزاول مهنة ما أو ملحقاً جميلاً بمهنة زوجها. ثانياً، من الواضح أنها ما عادت ترغب بأن تبقى متزوجة به.

رشف ريس رشفة من فنجان قهوته فابتلع ما تبقى من السائل الفاتر. إنه ليس رجلاً يستسلم بسهولة ولا يتخلى عن أي شيء يرغب به، لكن رؤيته لسوريل وهي تسير حوله فيما تبدو تعيسة جداً هو عذاب من نوع خاص جداً بالنسبة إليه. إنه غير قادر على إجبارها على البقاء معه، فيما يبدو من الواضح أنها لا ترغب بذلك.

حسناً! سوف يتحدثان يوم غد عن الانفصال نهائياً. سوف يخبرها عن نيته بأن يمنحها ذخيرة وافرة من المال والأملاك حتى تبدأ مستقبلاً جديداً من دونه. عندما يعودان إلى المملكة المتحدة، سوف يزوران مكاتب إدوارد كارمايكل وشركائه مجدداً، وسوف يحرص ريس على متابعة معاملات الطلاق. بعد أن يخبر سوريل بمخططاته، سوف يكلم أنجلينا كورتيز هاتفياً، ويقبل عرضها بأن يروج لجولتها الأميركية الجديدة. هذه الجولة سوف تبعده عن المملكة المتحدة لفترة لا تقل عن السنة من الزمن. في تلك الفترة ستكون سوريل قد صارت أكثر استقراراً في حياتها الجديدة، أما ريس فيأمل أن يتمكن من اجتياز مرحلة جيدة في نسيان ملاكه الشقراء الجميلة التي تزوجها، والتي علق

آمالاً عالية مضحكة عليها...

- ريس!

ذُهل ريس لدى سماع صوت سوريل، حتى إنه كاد يسقط فنجان القهوة الذي كان يحمله بيده. استدار ببطء فرآها واقفة في الباب المفتوح نحو الفناء، وهي ترتدي قميص نوم خضراء مع رداء ملائم لها. تركت سوريل شعرها منسدلاً، فالتفت أطرافه في حلقات عشوائية على شكل لفافات منتشرة حول كتفيها.

عبس ريس، ومرت قرابة الدقيقة من الوقت من دون أن يقول شيئاً، بدا مرتبكاً ومنوماً مغناطيسياً في آن معاً بفضل ظهورها الآسر الساحر المفاجئ، في حين أنه ظنها مستغرقة في النوم طيلة هذا الوقت.

أخيراً تكلم بصوت بدا خشناً نوعاً ما، إذ قال: «ما الأمر؟».

علم أن سبب ذلك هو تأثير ظهورها المفاجئ مع إرهاقه في آن معاً.

- ألن تأتي إلى السرير؟

- الآن... ما الذي يعنيه ذلك بالضبط، سوريل؟

لم يقوَ ريس على كبت اللدغة الخفيفة في نبرة صوته.

- يعني... هل أنت قادم إلى الفراش؟ لأنني...

أخفضت سوريل رأسها، ولو لم تكن محجوبة بظلال ضوء القمر والأنوار الخافتة في أرجاء الشرفة، لأمكنه أن يقسم إنها احمرت خجلاً كما لو أنها عذراء بريئة. تابعت: «أود أن أرافقك».

ابتلعت سوريل ريقها بصعوبة، وتمنت أن تهدأ نبضات قلبها المتسارعة بجنون، لأن ذلك يسبب لها إحساساً بالدوران في رأسها، ما يجعل التفكير مستحيلاً عليها. أتراها تركت الأمر كثيراً ففات الأوان على محاولة تقويم الأمور؟ تعابير وجه ريس لم تكشف لها أي شيء، إذ بدا فكه حقوداً، أما الأفكار القابعة خلف عينيه الخضراوين المذهلتين فظلت محجوبة بشكل يسبب القلق. أتراه يفكر بأنجلينا

كورتيز المرحة المليئة بالحيوية، ويتمنى لو أنها هي من تدعوه إلى سريرها عوضاً عن زوجته؟

- ومتى قررت ذلك؟

شبك ريس ذراعيه أمام صدره المغطى بالقميص الكتانية البيضاء. توسلت قائلة: «أرجوك...! لا تكن متهكماً. الأمر ليس سهلاً علي... أنت تعلم».

ولم تقوَ على منع نفسها من الارتجاف بسبب السخرية الواضحة تماماً في نبرة ريس.

- ما الخطب سوريل؟ هل راودك كابوس آخر؟ هذا كل ما أجيده أنا. أليس كذلك؟ إبقاء الكوابيس بعيدة عنك. أم تراني أنا من يسببها لك؟ أخبريني...! أنا فعلاً أود معرفة ذلك.

- ما الذي تقصده بكلامك؟

نظرت عينا سوريل بتوتر إليه، إنها فكرة سخيفة تماماً أن تأتي إلى هنا وتتوقع منه أن يقفز فرحاً، لأنها اقترحت عليه أن ينام معها في غرفتهما هذه الليلة. الآن تستطيع سوريل أن ترى أنها ارتكبت خطأ فادحاً. ربما يجدر بها أن تتركه بكل بساطة مع أفكاره ومزاجه العكر.

- عودي إلى السرير، سوريل. لا تهدري وقتك بلعب الأدوار التمثيلية على حسابي. تأخر الوقت قليلاً اليوم لكي تحاولي أن تتصرفي كزوجة حقيقية. ألا تظنين ذلك؟

تلك الإهانة الشائكة صدمت سوريل بقوة وقد استخدمها ريس بتأثير لاذع. إنها عازمة حقاً على ملاقاة زوجها في منتصف الطريق. على الرغم من كلامه الجارح، بقيت سوريل حيث هي. رفعت ذقنها، وبدت عيناها الزرقاوان عازمتين وهي تواجه ريس وتكلمه.

- أنا لست ألعب دوراً تمثيلياً ريس. أنا أريد أن أكون زوجة حقيقية لك. أعلم أن لديك حاجات أنت أيضاً، وأنني... أنا... أنا لم آخذها بعين الاعتبار، على ضوء ما حصل. أنا آسفة لأنني تصرفت

على ذلك النحو. أنا حقاً آسفة.

ولم يقوَ ريس على تجاهل وميض الأمل الذي قفز إلى قلبه لدى سماعه كلماتها المفاجئة. توقع منها أن تورطه في جدال مرير آخر غير مجد، لكن الآن وهو يراقبها واقفة هناك، وهي تبدو جميلة جداً وتحمل الأمل الواضح في عينيها، سمح ريس للحرارة باجتياح دمائه من دون أن يحاول إخماد توقه إليها على الفور. منذ دقائق فقط افترض أنه لن يحظى بأي أمل بأن يتقرب منها بعد اليوم.

- أتعتذرين؟ يا إلهي! أنا... لم أتوقع ذلك.

بالرغم من أن كلماته بدت هازئة نوعاً ما، لكنها لم تكن فظة.

بدأ ريس يسير متجهاً نحوها: «ألديك أية فكرة على الإطلاق عن مدى توقي إليك؟ أقسم بالله إنك حتماً خُلقت على هذه الأرض لكي تثيري جنوني. أتعلمين ذلك؟».

ارتعشت سوريل بقوة بسبب توقها إليه، ثم جذبت جانبي ردائها سوياً بيديها المرتجفتين. توقف ريس أمامها مباشرة، إذ أوقفته في مساره رائحة عطره المفضل الذي تضعه سوريل، وهو عطر لطالما أحبه.

لم يعد ريس قادراً على مقاومة إغواءها، تماماً كما هو غير قادر على مقاومة استنشاق أنفاسه. تمعن في نظراتها الزرقاء المتوترة وبشرتها ذات اللون الدراقي. سألها بصوت مهيب: «أتودين حقاً تمضية الليل معي؟».

- أنا...

عضت سوريل ببطء على شفتها، بينما تدفق اللون الحامي إلى وجنتيها، ثم قالت: «...نعم، أود ذلك».

- إذاً دعينا نذهب إلى غرفتنا. هلاّ فعلنا؟

أمسك ريس يدها بخفة، ثم قادها عبر غرفة الجلوس نحو البهو، ليسيرا معاً إلى غرفة نومهما.

١١ ــ إنها النهاية!

في صباح اليوم التالي نهضت سوريل، وغادرت السرير بهدوء بعد أن تركت زوجها نائماً. استقلت السيارة بسرعة، وقادتها نحو الأسواق في البلدة الصغيرة المجاورة بمفردها. إنه الصباح الأول منذ فترة بعيدة الذي تستيقظ فيه سوريل وهي تشعر بشيء من التفاؤل.

بدا ريس ليلة أمس محباً ورقيقاً. على الرغم من أن سوريل استشعرت قدراً من التكتم العاطفي لديه، إلا أنها كانت شجاعة بما فيه الكفاية ومصممة بما فيه الكفاية كي تبرهن له أنها فعلاً تود العمل على إصلاح زواجهما. لم تدع الشمس تغيب وقد حصل جدال آخر بينهما، كذلك فهي لم تبدأ نهاراً جديداً بالمزيد من المشاعر السيئة المليئة بالكراهية أو الرفض.

إن رؤية ريس مع امرأة جميلة كأنجلينا استحثتها لأن تدرك أنها ما تزال تحب زوجها بعمق، وأنها لا تود أن تنكسر علاقتهما إلى الأبد. هي حقاً ليست قادرة على احتمال مجرد التفكير بأن ريس قد يكون منجذباً إلى امرأة غيرها، دعك من الزواج مجدداً إذا ما انفصلا وتطلقا. قالت سوريل لنفسها إنهما سوف يجدان معاً طريقة لإصلاح الأمور. سوف يختبران ويستكشفان حلولاً مختلفة تلاقي مختلف حاجاتهما ورغباتهما، ولعلهما يتوصلان إلى تسوية ترضيهما معاً.

مشت على طول الشوارع الضيقة غير المستوية بعد أن ابتاعت بعض الفاكهة والخضار من المتاجر الصغيرة الموجودة في السوق.

رفعت وجهها نحو الشمس، فأحست أن قلبها يفوت إحدى ضرباته حين فكرت بالعودة إلى الفيلا ورؤية ريس مجدداً. إنها تخطط لكي تخبر إينيز بأنها تنوي أن تطهو بنفسها، لذا تستطيع مدبرة المنزل اللطيفة أن تأخذ استراحة هذه الليلة.

ما ترغب بفعله الآن بالذات هو أن تكون بمفردها مع ريس، فتحاول بناء بعض الجسور التي هُدمت منذ فترة بينهما.

لكن عندما عادت سوريل إلى الفيلا رأت سيارة مرسيدس لامعة لم تتعرف إليها متوقفة في الباحة الأمامية للمنزل. أحست بقلبها يخفق لكن لسبب مختلف تماماً. حملت حقيبة القش التي تحتوي مشترياتها نحو المنزل، وما لبثت أن سمعت صوت طفل يعلو بسرور وقد ملأ الأجواء. لحق ذلك سريعاً صوت ضحكة رجولية مبتهجة، إنه ريس! من الواضح أن لديهما زواراً، لكن من؟

استدارت سوريل، ومشت من الناحية الخلفية للفيلا عوضاً عن دخول المنزل من المدخل الرئيسي كما كانت تنوي. في المرج الأخضر رأت ريس يرمي الطابة نحو صبي صغير أسود الشعر، يرتدي قميصاً مع سروال قصير أحمر. على مقربة منهما جلست أنجلينا على مقعد تراقبهما، وقد ارتدت ثياباً باللون الأبيض من رأسها حتى أخمص قدميها، بينما غطت عينيها بنظارتين شمسيتين، فبدت كأنها خرجت للتو من صفحات مجلة فوغ أو ماري كلير.

لفتت سوريل انتباه ريس فلوح لها، أما هي فشعرت بجفاف في فمها على الفور. بدا ريس طبيعياً كما لو أن كل شيء هو تماماً كما ينبغي أن يكون. إلى جانب الصدمة التي تلقتها سوريل لدى رؤيتها لأنجلينا الجالسة هناك، فهي أيضاً واجهت مشاكل باحتواء عواطفها لدى رؤيتها لريس وهو يلاعب الطفل الذي يبدو بوضوح أنه إيمانويل ابن أنجلينا. أما الأمر الذي ترك بالغ الأثر على سوريل، فهو أن ريس بدا طبيعياً جداً مع الولد وبشكل يفطر القلب. كما لو أن الأمر لا

يتطلب مجهوداً كبيراً من ناحيته لكي يكون ودوداً أو متعاطفاً مع الولد. أحست سوريل بشرخ من الألم يتحرك في داخلها لدى تفكيرها بعدم قدرتها على متابعة الحمل بطفلها حتى يولد، الأمر الذي حرم ريس من الحصول على طفل... وربما ابن.

- أكانت رحلتك جيدة؟

تحركت نظرات ريس بتملك فوق جسد زوجته، بينما لاحق إيمانويل الطابة، أما الابتسامة التي أظهرها لها فبينت لسوريل أنه مسرور حقاً لرؤيتها.

- جيدة.

لم تتمكن سوريل من مبادلته الابتسامة نفسها بسبب موجة الغيرة العارمة التي طافت داخل جسدها لدى رؤيتها لأنجلينا، لذا تعمدت أن تشيح بنظرها بعيداً.

- مرحباً!

ردّت أنجلينا بصوت غنائي صادح: «آمل أنك لا تمانعين، لكنني اضطررت إلى القدوم اليوم كي أزور أحد أنسبائي، لذا اتصلت بريس وطلبت منه عنوانكما. إيمانويل يحب اللعب بالطابة كثيراً، وزوجك صبور جداً معه. سوف يصبح والداً رائعاً، أليس كذلك؟».

- أعذريني! علي أن أذهب لأوضب بعض الأغراض.

تعلقت سوريل بحقيبة مشترياتها بحزم، وألصقتها بصدرها، ثم بدأت تتجه نحو المنزل مجدداً.

أدارت صنبور المياه فملأت كوباً طويلاً بالماء في المطبخ، شربته بأكمله. بالكاد توقفت كي تستنشق أنفاسها. ذلك التعليق الذي أبدته النجمة الإسبانية عن ريس بقولها إنه سوف يصبح والداً رائعاً... أتراه تعليقاً عادياً؟ أتراه ملاحظة جانبية قد يبديها أي شخص لدى رؤيته لريس مع الولد الصغير، أم أنها ملاحظة ساخرة متعمدة بسبب عدم قدرة سوريل على حمل طفل ريس حتى يولد؟ من يعلم ما الذي ناقشاه

سوياً، وما هي الأسرار التي كشفها لها ريس؟ إنهما يبدوان مقربين جداً حسب ما ترى سوريل.

تحرك الخوف والغيرة في معدة سوريل كالدوامة، فجعلاها تكاد تشعر بالغثيان. آه! لِمَ قررت المرأة أن تزور نسيبها الذي يقيم على مقربة من هنا، وأن تدعو نفسها لزيارتهما اليوم بالتحديد من بين كل الأيام؟ ليلة أمس كانت جيدة جداً بينهما، وأملت سوريل أن تمضي النهار بمفردها مع ريس، لكي يتكلما ويعدّا المشاريع، أما الآن فقد تخرّب كل شيء.

- سوريل! آه... يا له من مطبخ ساحر! هل قمت بتصميمه بنفسك؟

فجأة ظهرت أنجلينا في الباب، وقد بدت رائعة وأنيقة في ثوبها الأبيض المذهل. أما سوريل فأحست أنها مزرية المظهر متعرقة وملتصقة بسروالها القصير الأزرق وقميصها الصيفية ذات اللون البرتقالي.

- أنا... آه...! لا... ذلك... ريس وأنا ناقشنا الأمر مع مصممي الديكور الإيطاليين.

- حسناً! قاموا بعمل مذهل إذاً! لابد أن أحصل منك على رقم هاتفهم، أما الآن عزيزتي، فأنا بحاجة لأثرثر قليلاً معك.

وضعت سوريل كوبها رأساً على عقب على رف تجفيف الأطباق، ثم استدارت حول نفسها مترددة لكي تعطي المرأة انتباهها. انقلبت في تلك اللحظة بالذات حقيبتها الكبيرة المصنوعة من القش، فتدحرج البرتقال والتفاح فوق طاولة المطبخ الكبيرة. قبضت أنجلينا على إحدى البرتقالات، وهي تضحك فوضعتها داخل طاس الفاكهة الخشبي الموضوع على الطاولة.

- أرغب باستعارة زوجك الساحر لهذه الأمسية، لو سمحتِ لي.

تجاهلت سوريل الفاكهة المبعثرة، وحاولت أن تبتلع الجفاف

المفاجئ في حلقها. سألتها: «ما الذي تعنينه؟».

- ذهبت صباحاً كي أزور قريبي ألبرتو. أردت أن أطلب منه أن يرافقني الليلة إلى إحدى المناسبات التي دعيت إليها، لكن لسوء الحظ وجدت أنه يعاني من ألم في ظهره، لذا هو لا يستطيع مرافقتي. إنه عشاء لا أشعر بالارتياح لو قصدته بمفردي، لذا آمل أن يتمكن ريس من مساعدتي. أنت لا تمانعين لو جاء معي، أليس كذلك عزيزتي؟

أحست سوريل بالاعتراض الفوري يتصاعد من أعماقها ليصل إلى حلقها، إلا أنها هزت كتفيها وقالت: «أنا لست راعيته، أنجلينا. إذا كان يرغب في الذهاب، فلا بد أن يفعل».

- حسناً.

نهضت أنجلينا على قدميها، أما ابتسامتها الوجيزة فبالكاد حركت شفتيها. من الواضح أن رد سوريل لم يكن الجواب السعيد الذي توقعته، لذا تابعت: «هذا ما اعتقدته. اعذريني، يجب أن أذهب لأتفقد صغيري إيمانويل، وأرى ما يفعله».

استطاع ريس أن يتفهم غضب سوريل لأنه وافق على مرافقة أنجلينا إلى المناسبة التي دُعيت إليها، لكنه في الوقت نفسه اعتقد أنها أدركت تماماً أنه لا يهتم بامرأة غيرها.

حسناً! هذا موقف لمرة واحدة فقط، ولو لم يكن نسيب أنجلينا مصاباً بألم في ظهره لما طرح هذا الموقف أصلاً. سوف يتغيب لبضع ساعات فقط، هذا كل شيء.

ارتدى بذلة التكسيدو الرسمية السوداء التي كان قد أحضرها معه على أمل أنه وسوريل قد يحظيان بشيء يدعوهما للاحتفال قبل أن يعودا إلى المنزل، لكنه لم يشعر بأية متعة في ذاك الرداء الذي لبسه. في الحقيقة، لم يشعر بسوى السخط اللعين تجاه سوريل لأنها جعلته يشعر بالذنب حيال شيء بريء تماماً... حيال شيء يفعله فقط من باب مساعدة صديقة.

مشى ريس إلى داخل غرفة الجلوس فوجد سوريل منهمكة بتنظيف الغبار عن المكتبة، وقد كدست الكتب التي أزالتها عن الرفوف على طاولة القهوة المرتفعة إلى جانبها. ظهرت لطخة غبار على أنفها عندما استدارت لتنظر إليه، أما ريس فلم يقوَ على إنكار المشاعر القوية التي نهضت في داخله. خفف ذلك الأمر انزعاجه لفترة وجيزة.

- لماذا تفعلين هذا؟

رفعت سوريل نظرها لدى سماعها سؤاله، فأحست أن نظرها أُسر تماماً بمنظر زوجها الوسيم الساحر. تاقت لأن تخبره كم يبدو وسيماً، وتاقت لأن تتوسله بألا يخرج هذه الليلة... لكنها خشيت أن ينتج عن توسلها جدال آخر مدمر للروح. من الواضح أن ريس يعتبر حاجات أنجلينا أكثر أهمية من حاجات زوجته الآن بالذات. على سوريل أن تعض على شفتها وعلى جراحها وأن تتقبل الأمر. لكن معرفة هذا الأمر وخزتها في الأعماق.

- أنا فقط... فكرت بأن أعيد ترتيب الأشياء قليلاً. هذا كل شيء.

- يمكن لإينيز أن تفعل ذلك بدلاً منك.

- أردت أن أقوم بالأمر بنفسي. أنت تعرفني... أنا أحب ترتيب الأشياء في أرجاء المنزل، وتنظيفها.

- أعلم.

وجد ريس نفسه يبتسم بالرغم من توتره الواضح. إن تأكيدها هذا جاء بمثابة تذكير آخر له بأن زوجته هي ربة منزل بالفطرة. لَمَ تراه لم يلاحظ ذلك بوضوح من قبل؟ أما الآن بالذات فهو يتذكر تصرفها عندما كانت أنجلينا وابنها في منزلهما، فقد عبّرت له سوريل عن عدم ثقتها المطلقة بالموقف بينه وبين أنجلينا. بالكاد استطاع ريس أن يصدق ذلك. في الواقع، أحس بإلسخط لأنها تعمدت أن تكون غير ودودة أو مرحبة بصديقته وزبونته. لم يعد ريس يعلم إن كان قادراً

على تحمل تصرفها هذا للحظة أخرى.

- أظنني سأعود متأخراً، لذا لا تسهري بانتظاري.

أشاح ريس بنظره، فهو لم يرغب بتهدئة نار الغضب التي تغلي على مهل في داخله.

- حسناً!

كرهها ريس في تلك اللحظة بالذات على ما تجعله يمر به، لكن تحت ذلك الاحساس بالكراهية شعر بتوق شديد لأن يستعيد السلام بينهما مجدداً. ليلة الأمس كانت جيدة جداً بينهما، ولم يرغب بأن يسكب أي منهما الماء البارد على دفء حبهما بهذه السرعة، فقال: «اسمعي! يمكنني أن أغير رأيي. يمكنني أن أتصل بأنجلينا وأخبرها أنني لن أرافقها إذا كنت حقاً تفضلين بقائي هنا؟».

لاحظ ريس الدهشة في عينيها، فتنهد عندما ابتسمت سوريل قليلاً وقالت: «لا تكن سخيفاً! سأكون بخير تماماً هنا إلى أن تعود. أنا فعلاً أثق بك ريس، لذا لا تقلق بهذا الخصوص. ما كان يجدر بي أن أتصرف على هذا النحو قبل قليل، أنا آسفة. أعلم أن أنجلينا هي مجرد زبونة عمل. اذهب وامضِ وقتاً ممتعاً، وفي الصباح يمكنك أن تخبرني كل شيء عن الحفلة».

رفعت سوريل كتاباً عن الطاولة، ثم استدارت لكي تضعه مكانه على الرف.

أحس ريس بالارتياح لرؤيتها نادمة على تصرفها السابق غير اللائق، ولأنها تبذل مجهوداً لتكون أكثر عقلانية. إذا استمر الوضع على هذه الحال، فلعلهما سيحظيان بفرصة حقيقية لأن يصلحا الأمور بينهما ويعيداها إلى مسارها الصحيح.

- حسناً! لا تبقي مستيقظة حتى وقت متأخر جداً فترهقي نفسك. نامي باكراً.

- سوف أعود إلى السرير مع كتاب وفنجان من الشاي حالما

أنتهي من هذا العمل، أعدك. اذهب... كي لا تتأخر.

أحس ريس فجأة برغبة في التباطؤ والتمهل. فأحنى رأسه ولامس وجنتي سوريل قليلاً بطرف إبهامه. عندما سمع شهقة سوريل الناعمة المدهوشة اضطر إلى أن يستجمع كل إرادته حتى يجبر نفسه على التوجه نحو الباب ويتركها هناك.

- إلى اللقاء، إذاً.

أطلقت سوريل تنهيدة طويلة منبعثة من القلب، وأنزلت رأسها نحو صدرها بعدما أغلق ريس الباب خلفه. بقي الاحساس الذي تركه إصبعه على وجنتيها، أما رائحة عطره الساحرة التي حامت في الأجواء فكادت تفقدها صوابها. في تلك اللحظة بالذات بدا توقها إليه كبيراً حتى إنها كادت تفقد سيطرتها على نفسها. رغبت فعلاً بأن تثق بريس، لكنها خشيت أن تكون قد منحته الإذن الضمني بأن يخوض علاقة غرامية مع أنجلينا الرائعة الجمال...

أخذت سوريل تستدير وتتقلب في السرير، ثم قذفت الأغطية جانباً. أخيراً جلست مستقيمة وتحققت من الوقت في الساعة المجاورة للسرير، فيما راح قلبها يتخبط بقوة. راودها حلم مرعب رأت فيه ريس وأنجلينا سوياً... أثار ذلك الحلم خوفها المتنامي بأنهما يقيمان علاقة غرامية. أخبرها ريس أنه قد يتأخر، لكن الساعة الآن هي الثالثة والخمس والأربعين دقيقة صباحاً؟ لابد أن شيئاً ما يجري!

حاولت سوريل أن تهدئ نفسها، فنظرت حزينة نحو الهاتف. أتراه حاول أن يتصل بها هاتفياً، لكنها كانت مستغرقة في النوم فلم تسمع اتصاله؟ بدأ الفجر يبزغ شيئاً فشيئاً ويتسلل عبر الظلال، فينير كل زاوية من زوايا غرفة النوم من خلال النوافذ. لم تعد قادرة على احتواء قلقها ونفاد صبرها، لذا ارتدت مئزرها على عجل، وغادرت الغرفة لتتجه إلى الأسفل نحو المطبخ. استرقت لمحة سريعة نحو غرفة النوم

الأخرى في آخر الرواق وهي في طريقها إلى الأسفل. لعل ريس قرر أن ينام هناك حتى لا يزعجها، لكن الغرفة بدت فارغة.

اتجهت سوريل إلى المطبخ، وحضّرت لنفسها فنجاناً من الشاي. وضعت فنجانها والصحن فوق الطاولة الكبيرة، ثم مررت أناملها بتوتر وقلق من خلال شعرها متساءلة عما يؤخره إلى هذا الحد، بحق السماء! غاص ذهنها متوقعاً أسوأ سيناريو محتمل: إنه يمضي ليلة شغوفة من الحب الجامح برفقة المغنية المليئة بالحيوية والجاذبية.

ما كان يجدر بها أن تطيل الانتظار إلى هذه الدرجة حتى تخبره أنها تحبه. شعرت بالاضطراب والغيظ فيما راحت تحرك الشاي وهي شاردة الذهن، مع أنها لم تكن قد وضعت فيه السكر أصلاً. إذا كان ريس يقيم علاقة غرامية مع أنجلينا، فسوريل هي التي قادته إلى هناك. حسناً! حاولت في الليلة السابقة أن تبرهن له حقيقة شعورها، لكن ماذا لو ظنها تقوم بذلك بدافع الاحساس بالذنب لأنه اتهمها بأنها باردة معه؟ أما الأسوأ من ذلك... لربما فكر ريس أنها تنوي هجره مجدداً؟ أليس من الطبيعي إذاً أن يبحث عن المواساة بين ذراعي امرأة أخرى جذابة تتودد إليه؟

وجدت سوريل أن من المستحيل أن تبقى مكانها جامدة ولو للحظة أطول. تركت الشاي الذي أعدته وذهبت إلى الخارج نحو الشرفة. كاد قلبها ينفجر داخل صدرها لدى تفكيرها أنها ربما تركت الأمور على غاربها لفترة طويلة، ففات الأوان على إصلاح ما انكسر.

* * *

بدا كأن كل شيء يحصل بنوع من الحركة البطيئة... كأحد هذه الأحلام التي تبدو كأنها تستمر إلى الأبد، لكنها في الواقع لا تدوم لأكثر من ثانية أو اثنتين. تفقد ريس مرآته الأمامية، وكان على وشك أن يستدير بالسيارة إلى الجهة اليسرى عندما اصطدمت به سيارة بورش سوداء تسير بسرعة جنونية، فتحطمت مقدمتها على الجانب الأيمن من

سيارته. بدا كأن تلك السيارة جاءت من العدم من الاتجاه المعاكس، من جهة أنجلينا. لحسن حظهما أن سائق سيارة البورش ضغط على الفرامل حالما رأى سيارة ريس لذا فإن الارتطام لم يكن مريعاً جداً إلى الدرجة التي كاد يكون عليها. لكن بالرغم من ذلك تعرضت أنجلينا لإصابة قوية.

أما الآن بالذات فإن مغنية الأوبرا تخضع لعملية جراحية في رجلها وذراعها المكسورتين، كما أنها أصيبت بعدة جراح بليغة في وجهها الجميل. في الواقع لقد نجت بأعجوبة من الموت.

أصابه الذهول والدهشة لأنه لم يتعرض لأي جرح أو خدش في جسده، وهو بالطبع شعر بالامتنان لأنه لم يتعرض للأذى، ولأنه ما يزال حياً يرزق في حين أن الحادث الذي تعرضا له كاد يؤدي إلى نتائج مختلفة تماماً. لكن ذلك لم يساعده في أن يشعر بمسؤولية أقل بسبب ما حصل لأنجلينا...

مرت بضع ساعات قبل أن يتمكن ريس من رؤية أنجلينا والتحدث إليها في جناح النقاهة بعد أن أجريت لها عملية جراحية ناجحة. بعد أن أكد لها أنه سوف يتصل هاتفياً بمدبرة المنزل التي تعتني بإيمانويل وبنسيبها البيرتو كي يطلعه على الخبر، استحصل ريس لنفسه على كوب من القهوة السوداء القوية. بعدئذٍ تم إرشاده نحو مكتب الطبيب المناوب حتى يجري اتصالاته الهاتفية. لم يسمح ريس لنفسه أن يفكر بسوريل إلا بعد أن انتهى من إجراء المكالمتين الهاتفيتين الهامتين. كان على وشك أن يرفع سماعة الهاتف مجدداً كي يطلب رقم منزلهما، لكنه عاد وتركه في مكانه. على الأرجح أن سوريل نائمة الآن، وهي بحاجة إلى أن ترتاح. لم يرغب ريس أن يزعجها بالخبر الذي قد يسبب لها القلق. لعل من الحكمة أن يدع الأمور على حالها بكل بساطة إلى أن يصل إلى المنزل.

توجهت سوريل مسرعة نحو الباحة الأمامية عندما رأت السيارة

الحمراء غير المألوفة تتوقف في الفسحة أمام المنزل. أدركت على الفور أنها سيارة أجرة صغيرة، وشعرت بجفاف في فمها وهي ترى ريس يخرج من المقعد المجاور للسائق، ثم يدفع له الأجرة. ما إن ابتعدت السيارة، حتى حدقت سوريل بمظهر ريس الغريب وشعره المشعث والظلال الغامقة التي تظلل فكه. دارت في رأسها مختلف أنواع الشكوك التي لا يمكن التفوه بها، فأحست بالخوف والغثيان يرتطمان في معدتها في آن معاً.

- ما الذي حدث؟ كدت أفقد عقلي من فرط القلق!

أرادت سوريل بيأس أن تعرف الحقيقة، لكنها تراجعت إلى الوراء قلقة عندما نظر إليها ريس من دون أن يظهر في نظرته أي أثر للأحاسيس من أي نوع كانت. تابع ريس السير نحو المنزل متخطياً إياها وتباطأت سوريل في خطواتها لأن رجليها أصبحتا فجأة واهنتين كما لو أنهما مصنوعتان من الهلام. تبعته إلى الداخل، فسكب ريس لنفسه في المطبخ كوباً من الماء وشربه بلهفة.

- ريس... أخبرني ما الذي حصل؟ لماذا عدت في هذا الوقت المتأخر جداً؟ هل كنت برفقة أنجلينا؟

- بالطبع كنت مع أنجلينا! أين بحق الجحيم تظنينني إذاً؟

يا إلهي! ها قد أقر بذلك. إنه يخونها، تماماً كما توقعت، أما ريس فلم يزعج نفسه حتى بإنكار ذلك.

- كيف استطعت؟ كيف استطعت أن تفعل ذلك بي؟

حدّق ريس بسوريل كما لو أنها شخص لم يره أبداً من قبل في حياته، فقال: «ماذا؟ ما الذي تتحدثين عنه؟».

بالكاد استطاعت سوريل أن تتنفس من شدة الألم الذي أحست به في رئتيها، فقالت: «أنت أمضيت الليل مع أنجلينا... كدت أصاب بالجنون من شدة القلق، وأنت أمضيت الوقت في السرير، برفقة تلك المرأة!».

- من أين جاءتك تلك الفكرة بحق الجحيم؟

- ما الذي يفترض بي أن أظنه في حين أنك لم تتصل بي حتى كي تعلمني أين كنت، أو أنك سوف تتأخر إلى هذه الدرجة؟ عوضاً عن ذلك، ها أنت تدخل إلى هنا في ساعات الصباح الأولى كما لو أنك خائن...

- تابعي سوريل... ما الذي تريدين قوله بعد؟ مخادع... محتال... كاذب...؟

علمت سوريل أن هنالك خطباً ما، وليس الأمر كما تظن. عرفت ذلك من أسلوب اختراق عيني ريس لها، بالإضافة إلى وقفته المندفعة إلى الأمام.

تكلم ريس بصوت منخفض وقاس، بينما رمقها بعينيه الخضراوين بنظرات جليدية، مريرة مخيفة، إذ قال: «تعرضنا لحادث اصطدام. صدمتنا سيارة أخرى، وأصيبت أنجلينا بكسور وجروح. أنا جئت للتو من المستشفى... لا من سريرها».

لم تقوَ سوريل على خنق شهقتها. بالرغم من تعابير وجه ريس الصارمة، اتجهت نحوه بشكل تلقائي، أما ريس فابتعد عنها متعمداً. شبكت سوريل ذراعيها بتوتر أمام صدرها.

- هل تأذّت كثيراً؟

سألت سوريل بصوت ضعيف، وهي تشعر بالندم لأنها لم تكن لطيفة وودودة أكثر مع المرأة الأخرى حين زارتهما يوم أمس برفقة ابنها الصغير.

رماها بنظرة تعني «وما همك أنت؟»، ثم أجابها: «انكسرت رجلها وذراعها فيما تعرض وجهها لبعض الجروح».

بدا وجه ريس أكثر عبوساً مما رأته عليه على الإطلاق. حلّ ربطة عنقه، ثم رماها على الطاولة، وقال: «إنها حتماً حصلت على أكثر مما ساومت عليه بالخروج معي ليلة أمس».

- آه، يا إلهي! أنا آسفة جداً! و... وماذا عنك أنت؟ هل تأذيت؟

قال: «لم أصب بأي خدش. أفترض أن لدي ملاكاً حارساً».

من الواضح أن ريس لم يشعر بأي متعة من جراء تلك الفكرة، إذ فرك يده المرهقة حول قفا عنقه.

- لا وقت لدي حتى أقف هنا وأتجادل معك سوريل، لذا أنا أحذرك الآن بالذات... لا تفكري حتى بالأمر. لا أظنني قادراً على أن أغفر لك تلميحاً غبياً كهذا، لذا لن أتطرق للأمر حتى. أنا بحاجة إلى الاستحمام والحلاقة، ثم علي أن أتوجه إلى مقر الشرطة كي أدلي بإفادتي. هل يمكنك أن تتصلي بريكاردو فتسأليه إذا كان بإمكانه أن يعود كي يقلّني؟

- بالطبع. لكن...

رفع ريس أحد حاجبيه محذراً، فقال: «سوف نضطر إلى اختتام هذا الحديث وتأجيله حتى وقت آخر. لا ترتكبي أي خطأ... انتهى الحديث الآن».

أومأت موافقة بغير سرور. لابد أن ريس يشعر بسوء مضاعف لأنه هو من كان يقود السيارة برفقة أنجلينا. علمت سوريل بشكل فطري أن الشعور بالذنب حتماً يلقي بثقله على كتفيه. رغبت بشدة أن ترفع عنه ذاك الحمل لو كان بمقدورها. إنها تحبه... يجدر به أن يعرف ذلك. لكنها التزمت الصمت لأن ريس بدا كئيباً جداً، وغير مهتم مطلقاً بما تريد قوله. حتى إنها شعرت بالقلق لحالته هذه. قالت: «سوف أتصل بريكاردو على الفور. لِمَ لا أعد لك بعض القهوة قبل أن تذهب لتستحم؟ تبدو بحاجة إليها».

حدق ريس بها كما لو أن وجودها لا ضرورة له بالنسبة إليه، ثم قال: «أنا لا أريد القهوة. أنا لا أريد أي شيء منك، في الواقع، كل ما أريدك أن تفعليه هو إجراء ذاك الاتصال الهاتفي، ودعي كل شيء

آخر لي أنا».

قام ريس بزيارة أنجلينا للمرة الثانية خلال ذاك النهار. بالإضافة إلى الصدمة والألم اللذين تسبب بهما الحادث، بدا حزنها عميقاً لأنها اضطرت أن تطلب من نسيبها وزوجته أن يعتنيا بإيمانويل، في حين أنها أرادت بشدة أن تكون برفقة ابنها. لم يقوَ ريس إلا أن يتمنى لو أنه رفض مرافقتها إلى العشاء الذي قصداه سوياً. لو أنه رفض حينها، لما حدث هذا الكابوس المروع على الإطلاق. أما سوريل فلا يحق لها البتة أن تتهمه بالخيانة في حين أنه لم يغازل أية امرأة سواها، سواء كان ذلك في حضورها أم في غيابها.

وجد ريس نفسه غير قادر على العيش مع شكوك سوريل أو غضبها تجاهه يوماً آخر بعد. حادث السيارة المروع الذي تعرض له، بالإضافة إلى الاتهامات التي وجهتها له سوريل هذا الصباح، كلها مجتمعة تركته يشعر بالفراغ والاستنزاف والخواء في داخله. لم يعد بمقدوره أن يتابع حياته على هذا الدرب الخالي من الروح. بذل كل ما بوسعه كي يتقرب من سوريل، لكنها ما انفكت تدفعه بعيداً عنها عند كل منعطف تقريباً.

عرف ريس مسبقاً ما الذي ينوي قوله لزوجته وهو في طريق العودة بالسيارة إلى الفيلا، فيما جلس في المقعد المجاور للسائق بالقرب من صديقه وبستانيه ريكاردو. لعل هذا ما أرادت سوريل سماعه في سرّها، ولربما هو ليس كذلك. على أي حال، أقنع ريس نفسه أن ذلك في النهاية سوف يكون لصالحها.

لم يجد سوريل داخل المنزل، لذا ذهب ليبحث عنها في الخارج على الشرفة. وجدها مستلقية على كرسي طويل وهي ترتدي سروالاً قصيراً مع قميص قطنية زرقاء من دون كمين، أما قدماها فحافيتان. بدت مستغرقة ضائعة في أفكارها عندما وصل ريس إلى جانبها. كره أن يقوم بإزعاجها، لكنه قال لنفسه إنه آن الأوان لكي يخرج كلاهما

من هذا البؤس، لذا لامس كتفها كي يستحوذ على انتباهها.

أزاحت سوريل النظارتين الشمسيتين وغطت عينيها بيدها كي تنظر إلى الأعلى نحوه. جمال نظراتها الزرقاء المذهلة حرّكت داخل ريس تياراً قوياً من المشاعر كاد ينسيه ما هو على وشك أن يقوله لها.

- هل أنت بخير؟

كانت سوريل على وشك أن تطرح عليه السؤال نفسه، فردت بحذر: «أنا بخير».

تساءلت إن كان يجدر بها أن تأمل بتغير ذلك المزاج الرافض للتواصل الذي سيطر على ريس قبيل مغادرته المنزل. وجدت نفسها تقبض على عضلات معدتها بقوة بانتظار أن تكتشف ذلك. قالت: «هل جرت الأمور على ما يرام في مركز الشرطة؟ كيف حال أنجلينا؟».

- أدليت بإفادتي، ولحسن حظي أن الرجل الذي كان يقود السيارة التي صدمتنا تحمّل المسؤولية كاملة. أخبرتك أن لدي ملاكاً حارساً.

لامست شفتا ريس ابتسامة خفيفة ساخرة، ثم تابع: «أما بالنسبة لأنجلينا... حسناً! سوف يتطلب الأمر بعض الوقت منها حتى تشفى، لكن الأطباء أخبروني أنها قوية وأن موقفها إيجابي. جل ما تستطيع التفكير به الآن بالذات هو عودتها إلى صغيرها إيمانويل».

ترددت في داخل سوريل غصة تعاطف مع المرأة الأخرى. من الطبيعي جداً أن تكون أفكار أنجلينا متجهة نحو ابنها. جعلها ذلك الشعور تحس بالسوء لأنها لم تكن مرحبة مضيافة مع أنجلينا خلال زيارتها يوم أمس.

- حسناً! آمل أن تصبح قادرة على الانضمام إليه قريباً. من يقوم برعايته؟ أهي مدبرة المنزل؟

- كلا، بل نسيبها وزوجته. لحسن الحظ أن إيمانويل يعرفهما كلاهما جيداً، لذا فهما ليسا غريبين تماماً عنه.

- لكن الأمر ليس مشابهاً لكونه مع والدته.

- تماماً.

خطا ريس قليلاً، قبل أن يستدير ببطء ليواجه سوريل.

- سوف أقوم بزيارة أنجلينا في المستشفى خلال الأيام المقبلة. مدير أعمالها قادم بالطائرة إلى هنا بعد ظهر اليوم كي يراها، ولا شك أن الصحافة سوف تلاحقها بشدة، هذا إن لم يكونوا قد بدأوا للتو. سوف أقدم لها يد المساعدة بكل شكل ممكن.

أحست سوريل بصدرها يضيق بشكل لا يمكن تفسيره، فانتظرت ما ينوي ريس قوله.

اقترحت آملة أن تلهيه: «يمكنني أن آتي معك إذا أردت؟ لعلني أستطيع أن أهتم بإيمانويل لفترة وجيزة، ما يسمح لنسيب أنجلينا بأن يحظى باستراحة».

أدركت سوريل أنها تود ذلك فعلاً. إنها ترحب بأي فرصة للتعرف إلى الصبي الصغير، وربما لتعوض لوالدته عن تصرفها بفظاظة ذاك اليوم... من دون أن تذكر شكوكها بخصوص علاقتها مع ريس.

لكن ريس راح يهز رأسه. وقال: «أريدك أن تعودي إلى المملكة المتحدة، سوريل... أن تعودي مباشرة إلى منزل شقيقتك عوضاً عن منزلك. لست أدري كم سيطول بي الوقت هنا. على الأقل ستحظين برفقة إذا كنت مع ميلودي. فضلاً عن ذلك، لدي أمور عالقة في العمل وأنا بحاجة لأن أهتم بها أيضاً».

- ماذا لو لم أكن أرغب بالعودة إلى المملكة المتحدة؟ ماذا لو رغبت في البقاء هنا معك أنت؟

علمت سوريل أن صوتها بدا كئيباً شاكياً، فقبضت على ذراعي الكرسي بحزم نوعاً ما. رأت ريس يعبس ويستنشق نفساً عميقاً، فكادت نبضات قلبها تتوقف داخل صدرها.

- لا أريدك أن تبقي معي سوريل. أتذكرين ما قلته بخصوص اختتام حديثنا السابق؟ حسناً! أنا أختتمه باعتقادي أن زواجنا انتهى. لقد منحناه أفضل محاولاتنا، ولم ينجح... إنها نهاية القصة.

١٢ ــ معاً، على الطريق

أحست سوريل أن كل ذرة من الأمل المتعلقة بمستقبلهما سوياً قد تحولت إلى رماد، فحدقت إلى ريس بكآبة، وقالت: «أنت لا تعني ذلك... إنك منزعج بسبب الحادث، هذا كل شيء. أنا لا أريد أن أعود إلى المنزل بمفردي، ولا أرغب في الذهاب إلى منزل ميلودي أيضاً. مكاني هو إلى جانبك، لاسيما الآن وقد حصل ما حصل».

- إذا كنت فعلاً تؤمنين بأن مكانك هو إلى جانبي، فلماذا هجرتني منذ ثلاثة أشهر؟

تنبّهت سوريل إلى الخطر لكون ريس يذكر شيئاً ظنت أنها فسّرته له بشكل مناسب من قبل، ومن الواضح أنه ما زال يحمل الضغينة بسببه. لذا نهضت عن الكرسي لتواجه زوجها قائلة: «ظننتنا ناقشنا ذلك كله، أخبرتك من قبل... أنا غادرت لأن اهتمامك بعملك بدا أكثر من اهتمامك بعلاقتنا. حسناً! كان بمقدوري أن أسافر معك إلى ما لا نهاية، لكنني رغبت بمنزل ريس... بمنزل وبعائلة».

هاك...! لقد قالت ما لديها. عندما لم تتغير تعابير وجه ريس ولم تزدد دفئاً تجاهها بأي شكل، تسربت من سوريل قطرة خوف متجلدة، طال صقيعها في عمودها الفقري.

تابعت كلامها تستحثه: «عندما تقع المرأة في غرام رجل ما، فمن الطبيعي أن ترغب بإنجاب طفله. أنت كنت على حق... قلبي لم يكن يهوى عرض الأزياء... ولا مقدار ذرة. كان خياراً سهلاً بالنسبة

www.elromancia.com

إلي، أخذته لأنه كان متوفراً أمامي. أنا لست طموحة مثلك ريس، لكن هذا لا يجعل ما أرغب به أمراً خاطئاً. أليس كذلك؟».

هل تراه قد أسعد هذه المرأة فعلاً يوماً ما؟ تأمل ريس الحزن المحفور على وجهها الجميل، وشعر برغبة كبيرة في أن تجد سوريل السعادة مجدداً. ليس فقط السعادة بل السلام أيضاً. لكنه بدوره بحاجة إلى السلام أيضاً. جرحته سوريل حتى الأعماق باتهاماتها له بالخيانة مع أنجلينا، وبفقدانها الواضح للثقة فيه، وبإخراجه من حياتها كلما لاءمها ذلك. إن كان مقدراً لسوريل أن تجد السعادة مع شخص غيره، فليكن ذلك... لعل الأمر يأتي لصالحهما سوياً. على الرغم من أن كل ما في داخله راح يعترض بشدة وألم لدى تفكيره بأن سوريل قد تحب رجلاً غيره... وتنجب أطفال رجل غيره... فسوف يدعها ترحل.

تنهد ريس قائلاً: «أنا لا أعتبر ما تريدينه أنت خاطئاً سوريل، لكن علي أن أقول لك إنني ما عدت قادراً على التعامل مع هذا البؤس المستمر بيننا أكثر... لاسيما أنك برهنتِ لي بوضوح أنك لا تثقين بي على الإطلاق. من الأفضل أن ننفصل لنرى إن كان بمقدورنا أن نتابع حياتينا كل بمفرده، أو في بالغ الأمر ربما مع شخص آخر. أنا أيضاً أقترح أن تحصلي على مساعدة اختصاصي ما. لا أظن أن الأمور سوف تتحسن إلى أن تفعلي ذلك».

بالكاد تمكنت سوريل من التكلم بسبب التوتر الذي يسد حلقها. نظرت إلى ريس بيأس وهلع قائلة: «أنا لا أريد مساعدة أي شخص آخر غيرك. أنا حقاً آسفة لأنني تصرفت بغيرة كبيرة، فلم أثق بك أثناء وجودك مع أنجلينا، لكنني تصرفت بدافع عدم شعوري بالثقة والأمان حيال علاقتنا. كان علي أن أتكلم معك عن ذلك عوضاً عن توجيه الاتهامات إليك، لكن ثقتي بنفسي تحطمت بعد خسارتي للطفل ولم أعد قادرة على التفكير بشكل صائب. أرجوك سامحني! تعاملت مع

الأمور بالأسلوب الخاطئ تماماً، وأنا نادمة على ذلك. لا فكرة لديك كم أنا نادمة على ذلك!».

- ربما أنت كذلك...

بدت تعابير ريس مشدودة، وكأنما قلبه يتمزق من الألم لرؤية المزيد من الإحباط والكرب على وجه زوجته.

- لن تحتاجي إلى أي شيء.. أعدكِ! سوف أقدم لك تسوية جيدة تعطيك خيارات للمستقبل، سوريل. لن تضطري أبداً لأن تقلقي بشأن المال. عودي إلى الديار وابقي مع ميلودي. لا أحب أن أفكر أنك وحيدة بينما أنا هنا لأتعامل مع هذه الأزمة. عندما أعود إلى المنزل سوف أتصل بك هاتفياً، ويمكننا أن نلتقي لنتحدث بشكل لائق.

ارتجف فم سوريل وهي تتكلم قائلة: «لا، ريس! هذا ليس حسناً. كيف يكون حسناً في حين أنك تخطط للخروج من شيء بدأ يعد بآمال كبيرة جداً؟».

توهجت في عيني ريس الزمرديتين ومضة تنم عن الندم العميق، وذلك بسبب كلمات سوريل المفعمة بالشغف. قال لها: «ذلك حصل في الماضي، سوريل. أنتِ تعرفين تماماً كما أعرف أنا أن الأمور تغيرت كثيراً، ونحن ما عدنا قادرين على استعادة ما كان لدينا في بداية ارتباطنا. أنا آسف، لكنني ما عدت قادراً على التحدث عن الأمر أكثر الآن. علي أن أفكر بأنجلينا المستلقية في المستشفى. أرجوك، حبيبتي. عودي إلى الديار وابقي مع ميلودي. أتعدينني؟».

لعله من غير المنطقي بالنسبة إليها أن تشعر بالحزن والأسى والتشتت بسبب الغيرة، لأن ريس يضع مصلحة إحدى زبائنه قبل حاجات زوجته من جديد، لا سيما أن أنجلينا عانت من جراء الحادث، وهي تعاني من الألم في المستشفى. لكن لو أن ريس قبل عرضها بالبقاء حتى تساعده للاهتمام بهذا الموضوع، لما كان هنالك من داع لتشعر بالرفض الشديد أو اليأس. لكنه أخبرها أنهما برأيه

منحا زواجهما أفضل محاولاتهما، ولم ينجح. أما الآن فهو يرغب بإنهاء الأمر. آه! إلى أين يفترض بها أن تهرب من هذه المقدمة التي تفطر القلب؟

لم تعد سوريل قادرة على الكلام بسبب الجيشان العميق للألم الذي أحست به داخل صدرها، فقاومت بيأس كي لا تنهار أمام ريس. والآن بعدما علمت أنها حتماً تخسر المعركة، استدارت وهرعت راكضة إلى داخل المنزل...

* * *

- إذاً، سوف نعد بعض النماذج، ونبدأ من هناك. عمل جيد، سوريل... هذه فعلاً رائعة. أنا مسرورة جداً لأنك تابعت العمل عليها.

أعادت نينا العينات إلى داخل الملف المغلف بالجلد، ووضعته على سطح مكتبها. هذه المرة لم تحرم سوريل نفسها من الاحساس بالرضى العميق والشعور بنجاح الإنجاز الذي كانت تحاول بجهد أن تحققه.

من المحتمل جداً أن تجد سوريل لنفسها مهنة جديدة تماماً، إذا كانت العينات التي تنجزها تستحوذ على اهتمام أحد المصممين المشهورين، وذلك يترافق مع معرفتها وخبرتها الخاصة في ما يتعلق بصناعة الأزياء، بسبب سنوات الخبرة التي تملكها كعارضة للأزياء. منذ عودتها من البرتغال راحت سوريل تعمل حتى وقت متأخر من الليل، كل ليلة تقريباً خلال الأسبوعين الماضيين، فتعدل وتحسّن رسوماتها. والآن ها هي تحظى بنتيجة رائعة تفيد بأن مثابرتها وكدها حققا النجاح. إنه أفضل خبر سمعته منذ عهود.

فقط لو أن بإمكانها أن تتشارك مع ريس في هذا الخبر!

* * *

- هيا يا صغيريّ! امنحا الخالة سوريل استراحة. لقد احتكرتماها

طيلة النهار، والآن حان دوري أنا! فضلاً عن ذلك... حان وقت النوم. اصعدا إلى الأعلى واستعدا للنوم، وسوف آتي خلال دقائق لأقبلكما قبلة ما قبل النوم.

- عمت مساءً، خالة سوريل.

رنّم ويل ودايزي، واحداً تلو الآخر، وللمرة الأولى لم يعترضا على طلب أمهما، إذ بدأا يسيران بخطى ثقيلة نحو الباب. تثاءبت دايزي البالغة من العمر خمس سنوات، وفركت عينيها، فيما اختبرت سوريل موجة قوية جداً من العاطفة الجمة، لدرجة أنها اضطرت إلى الجلوس على يديها كي تمنع نفسها من مد يدها لتتناول الطفلة في احتضانة أخرى. هذان الولدان يشبهان ملاكين ذهبيا الشعر، أما في ما يتعلق بسوريل، فهي تشعر أنه من المستحيل أن ترفض لهما أي طلب، وبالتالي فهي مستعدة دوماً للعب معهما أو رسم الصور لهما غالبية النهار، فلا يزعجها ذلك البتة.

ذلك اليوم بدأت الأمطار تتساقط منذ الصباح الباكر من دون توقف، لكن بما أن سوريل أبقت الولدين منشغلين، تمكنت ميلودي على الأقل من الذهاب لشراء البقالة لتطهو الطعام والقيام بكل الأمور الضرورية صباح يوم السبت.

نادت سوريل تخاطب الولدين: «عمتما مساءً حبيباي... أنا أحبكما!».

ما إن غادر الولدان الغرفة وصعدا إلى الطابق العلوي حتى أحست سوريل على الفور بالفراغ القديم المعهود في داخلها وقد بدأ ينتشر داخل صدرها بقوة سلبتها أنفاسها.

انتقلت أفكارها على الفور إلى ريس. ذلك الحادث الذي تعرض له كاد يودي بحياته. لو أن الأمور كانت أكثر سوءاً لقتل في ذلك الحادث ولم يعرف أبداً عمق حبها له. لكنها عوضاً عن أن تخبره بحقيقة شعورها نحوه اتهمته بقضاء الليل في سرير امرأة أخرى.

أصابتها تلك الفكرة بالذعر، كما لو أنها ذكرى سيئة قديمة ظنت نفسها قد تغلبت عليها، لكنها عادت وتسللت إلى ذهنها وطعنتها بقسوة في أضلاعها. لم يتصل بها ريس سوى مرة واحدة طيلة هذين الأسبوعين اللذين أمضتهما مع ميلودي، وذلك حتى يعلمها بأن أنجلينا خرجت من المستشفى وعادت لتتعافى في منزلها. أما نسيبها ألبيرتو مع زوجته فهما يساعدانها في الاعتناء بابنها الصغير. بالنسبة إلى ريس، فهو باقٍ إلى أجل غير محدد كي يقوم ببعض الأعمال في ليشبونة، ولا يعلم متى سيعود إلى المملكة المتحدة.

أيظن أنه سيجعل الأمور أسهل بالنسبة إليها لو اعتمد الأسلوب الرسمي كما لو أنه غريب فعلاً عنها حين يكلمها؟ ألا فكرة لديه على الإطلاق بأنه فطر قلبها فكسره إلى ألف قطعة وقطعة؟ دفعت سوريل بعيداً عنها موجة اليأس التي هددت عزمها بأن تكسب حبه من جديد.

منذ أن عادت سوريل إلى المملكة المتحدة، قامت بزيارتين إلى مستشار نفسي ليساعدها على تخطي شعورها بالخسارة لفقدان طفلها، والتحقت بالنادي المحلي لتلقي بعض الدروس والتمارين الرياضية، كما بدأت تأكل طعاماً ملائماً من جديد. مع مرور كل يوم كانت سوريل تلاحظ تحسناً في وجهها الهزيل عندما تنظر في مرآة الحمام. في الواقع استعادت وجنتاها بعض اللون مجدداً. كما أن ثقة سوريل بنفسها وتقديرها لذاتها بدأا يرجعان إليها ببطء، وذلك بسبب العمل على تصاميمها فضلاً عن النجاح الذي حققته في ذلك المجال.

سوف تتصل بريس خلال أحد الأيام القادمة فتسأله عما إذا كان بمقدورهما أن يلتقيا. تمرنت سوريل مسبقاً ألف مرة على ما تنوي قوله له عندما تراه. لن تترك لديه أي مجال للشك بأنها تحبه من أعماق قلبها، وبأنها لم تتوقف عن حبه حتى عندما كانت الأمور في أسوأ حالاتها بينهما، لذا هي ترغب بفرصة ليحاولا من جديد. سوف تعتذر مجدداً لعدم ثقتها به، ولأنها أحست بالغيرة الغبية وعدم الأمان

معه، في حين أنه في الواقع لم يعطها ولو سبباً واحداً كي تتصرف على هذا النحو. كذلك فهي سوف تبرهن له بأنها تتمتع بالقوة والعزم حتى تنهض فوق كل آلام قلبها. أما إذا فشلت في استرجاع ريس، بالرغم من اعترافها له بأنها تحبه، فعلى الأقل ستكون قد بذلت كل ما في وسعها كي لا تشعر بالندم بعد ذلك.

كانت سوريل مستغرقة في أفكارها، وبالكاد لاحظت ميلودي وهي تدخل الغرفة وتقف خلفها إلى أن انحنت ميلودي وبعثرت شعرها بحنان وعاطفة وهي تقول: «ما رأيك بفنجان من القهوة الآن؟ أنا واثقة أنه يمكنك تناول واحد بعد كل هذا العمل الذي قمتِ به. أعلم أنني أستطيع شرب واحد.

- سوف أرافقك إذاً... شكراً.

جاءت ابتسامة سوريل حقيقية دافئة، فشقيقتها طيبة جداً معها، إذ سمحت لها بالبقاء في منزلها كما منحتها الفسحة اللازمة كلما احتاجت لذلك، وشجّعتها في سعيها للخروج من مأساتها وتحسين حياتها. أحست سوريل بالامتنان العظيم لأنها تحظى بعائلة تدعمها وتحبها إلى هذه الدرجة، وهذه ليست المرة الأولى...

- أتعلمين...؟ لو لم تكوني مصممة على مجاراة مصممي بريطانيا البارزين ونيل إعجابهم بتصاميمك الرائعة تلك، لاقترحت عليك أن تنتقلي للإقامة معنا بشكل دائم كحاضنة للأطفال! فجل ما يتكلم عنه ولداي هو «الخالة سوريل فعلت هذا... الخالة سوريل قالت هذا...». من المستحيل أن تخطئي في ما يتعلق بهما.

- ما عساي أقول سوى إنني أحب الأطفال؟ يسهل إرضاؤهم وجعلهم سعداء. جل ما عليك فعله هو أن تحبيهم من أعماق قلبك.

صمتت ميلودي تماماً لدى سماعها كلمات شقيقتها، أما سوريل ففوجئت لرؤية الدموع تلتمع بعينيها. لطالما كانت ميلودي عملية، وليست إحدى أولئك النساء اللواتي يظهرن عواطفهن، لذا فوجئت

سوريل بمنظرها أكثر فأكثر.

مسحت ميلودي عينيها بقفا يديها، وقالت: «أتعلمين؟ يوماً ما سوف تحظين بمنزل ممتلئ بالأطفال الرائعين، أما ويل ودايزي فسوف يتمرغ أنفاهما بالأرض عندما يحصل ذلك!».

- لا، لن يحصل ذلك. سوف يكون لهما دوماً مكان مميز في قلبي. الآن، ما رأيك بتلك القهوة التي وعدتني بها؟

سمحت سوريل لنفسها للحظة أو اثنتين أن تشرد في حلم اليقظة المفضل لديها بأن تصير أماً، بينما ضحكت ميلودي وخرجت كي تعد لهما القهوة. أما حين فكرت بمن تريده أن يكون الوالد في ذاك «المنزل الممتلئ بالأطفال» الذي ذكرته ميلودي، فلم يكن لديها أي شك مطلقاً بهوية الشخص المناسب تماماً ليلعب ذاك الدور.

* * *

جلس ريس داخل السيارة فتأمل المنزل الريفي الرائع الشبيه بالصورة الفوتوغرافية. يتميز المنزل بنوافذه الشبيهة بالقوارب الشراعية وبواجهته الأمامية المطلية بالأزرق والأبيض. اضطر إلى أن يستنشق نفساً عميقاً قبل أن يُدَعِّم شجاعته فيخرج ليقرع الباب.

كان يجدر به أن يتصل أولاً كي يتأكد من أنها موجودة. لكنه لم يكن قادراً على مواجهة العودة إلى المنزل في بيمليكو مباشرة، لكي يشعر بالفراغ بين جدرانه يضغط عليه كما لو أنها جدران سجن تتحرك. هذا ما سيكون عليه الحال من دون سوريل. قرر ريس عوضاً عن ذلك أن يجرب حظه، لذا قاد السيارة مباشرة من المطار إلى منزل ميلودي.

قال لنفسه إنه يجدر به ألا يتوقع الكثير، وهو يثني أصابعه حول المقود في سيارة الجاغوار خاصته. لا شيء يؤكد له بأن سوريل قد ترغب حتى بالتحدث إليه. بدا غارقاً تماماً في آلامه الخاصة يوم طلب منها الرحيل، وهو على الأرجح لم يظهر لها أية حساسية تجاه

حاجاتها. أشرقت الحقيقة على ريس حالما غادرت سوريل البرتغال لتستقل طائرة العودة إلى الديار. كان وقع الحقيقة عليه بالغ الوحشية كما لو أن قطعة من الطوب تهوي على رأسه. إنه يرتكب خطأ فظيعاً بتركها ترحل. إنها تعني كل شيء بالنسبة إليه... لطالما كانت كذلك، وهذا ما ستكون عليه دوماً. حصل الكثير من الأمور التي منعته من التفكير بشكل صائب واضح. أولاً حصلت المشاكل ضمن زواجهما ولم يعرف كيف يحلها، ثم فقدت سوريل الطفل، بعدئذٍ تعرض ريس لحادث السيارة، ذلك الحادث الذي سبب لأنجلينا الأذى، وأخيراً جاءت اتهامات سوريل المؤلمة بخصوص عدم وفائه لها. لفترة من الوقت لم يفعل ريس شيئاً سوى الانغماس في بؤسه وآلامه الخاصة، أما الآن فصارت أفكاره واضحة تماماً. إنه يرغب بعودة زوجته إلى حياته مجدداً... وإلى الأبد.

لم يرغب ريس بتأجيل رؤيتها ولو للحظة أخرى، لذا خرج من مقعد السائق وصفق الباب خلفه، ثم مشى متجهاً نحو باب المنزل الأمامي. رأى بضع دراجات هوائية تقف جانباً على الحصى، بالإضافة إلى عربة صغيرة، وطابة برتقالية فاتحة اللون. شيء ما في ذاك المنظر العادي جداً الذي يدل على أن عائلة ما تقيم هناك صدم ريس. لم يعد لديه أي شك مطلقاً بأن هذا ما يريده هو أيضاً... عائلة!

فتحت ميلودي الباب وهي ترتدي سروالاً من الجينز مع قميص قطنية بيضاء، بينما وضعت حول عنقها عقداً من اللآلئ البيضاء. إنها امرأة جميلة، تتمتع بوجه نضر مرحب. لكنها لو قورنت بسوريل، فجاذبيتها الأكيدة تبهت لتصير مجرد عادية.

- مرحباً!

أطلق ريس إحدى ابتساماته المدمرة التي تجعل المرء يفغر فمه مدهوشاً، وهو يعلم ذلك تماماً. للحظة كاملة فتحت ميلودي فمها كي

تتكلم، لكنها لم تستطع أن تقول شيئاً. بسرعة استجمعت شتات نفسها، وعبست قليلاً فتراجعت قليلاً إلى الوراء نحو البهو كي تسمح لريس بالدخول.

- إنها في غرفة الجلوس. هلاّ أسديتني خدمة كبيرة، ريس؟ عملت سوريل بجد كي تعيد بناء حياتها... لذا لا تذهب وتدمر الأمور بالنسبة إليها، أتعدني؟

احمر وجه ريس الذي اكتسب سمرة واضحة، فأومأ بإيجاز قبل أن يعبر من أمامها متجهاً نحو غرفة الجلوس.

كانت سوريل ما تزال جالسة وسط ألعاب الطفلين على السجادة حيث كانت تلعب مع ابني شقيقتها منذ قليل. كانت تقلّب دفتراً صغيراً عليه رسومات دايزي عندما صادف أن رفعت نظرها إلى الأعلى كي تنطق باندهاشها وصدمتها، إذ رأت زوجها واقفاً بالباب. ذاك هو ريس بشعره الذهبي وبشرته الذهبية، أما رجلاه الطويلتان فمكسوتان بسروال من الجينز الأزرق الغامق، كما أنه يرتدي كنزة سوداء ضيقة ملائمة. بالكاد استطاعت سوريل أن تلتقط أنفاسها بسبب اللهفة والتوق اللذين غمراها.

- ما الذي تفعله هنا؟ لِمَ لم تتصل لتبلغني بقدومك؟

- أردت أن أراكِ... ولا يمكنني أن أفعل ذلك عبر الهاتف.

نظراته المتفحصة التي اكتسحت وجه سوريل وجسدها، جعلت الدماء تغلي في عروقها. لم تكن واثقة كيف عساها تجيب، فنهضت ببطء واقفة على قدميها فيما نفضت الغبار عن مؤخرة سروالها وهي تقف مستقيمة، ثم عبثت بأحد أزرار قميصها ذات اللون القشدي، وهي شاردة الذهن بينما أخذت تراقب ريس عن كثب أكبر.

- أنا... أنا كنت أنوي أن أتصل بك بنفسي. نحن بحاجة لأن نتكلم، وأنا...

قاطعت سوريل الكلام الذي كانت تنوي قوله لأن نظرات زوجها

بدت مركزة عليها... كما لو أنه لم يرها من قبل.

بدت سوريل رائعة جداً... ما الذي فعلته بنفسها؟ ما من امرأة غير سوريل قادرة على أن تجعل سروال الجينز يبدو أنيقاً وجذاباً كما تفعل سوريل. هذا ما فكر به ريس، بينما اشتدت كل عضلة من عضلاته وأخذت تنبض، أما دماؤه فتسارع تدافعها في عروقه. ليس هذا فقط... فيما كانت سوريل جالسة هناك بين ألعاب ويل ودايزي، بدت بالنسبة لريس في منزلها وديارها، وهو المكان الذي يود أن يكون فيه هو أيضاً أكثر من أي مكان في العالم. إنها موجودة حيث يرغب هو بأن يكون... ليس الآن فقط، بل لكل يوم متبقٍ من عمره.

هز ريس كتفيه وابتسم، قائلاً: «أنا موافق على أننا بحاجة للتكلم، لكنني ما جئت لمناقشة الطلاق، إذا كان هذا ما تعتقدينه».

- إذاً ما الذي جئت من أجله، ريس؟

كما لو أن الكلمات التي يرغب بقولها تفلت منه بشكل محبط إذ قال: «جئت حتى أعتذر لك عن أسلوب تعاملي معك، ولكي أطلب سماحك».

تمعنت عينا سوريل الزرقاوين فيه بتفاجؤ أكيد، فقالت: «أحقاً؟».

ألح ريس بهدوء أكبر: «هل تسامحينني؟».

- آه! ريس، أنا...

- انتظري... دعيني أنتهي!

رفع ريس يده. كان عليه أن يصل إلى أعماق نفسه كي يحاول أن ينطق بما يجول في قلبه، لكنه سوف ينطق بذلك.

- أنا أريدك أن تعودي سوريل. ما كان يجدر بي أبداً أن أبعدك عني كما فعلت بعد الحادث، لكنني أحسست بغضب عارم لأنك اتهمتني بأنني أقمت علاقة مع أنجلينا في حين أننا في الليلة التي سبقت تحديداً كنا قد أمضينا أروع وقت ممكن سوياً.

لاحظ ريس أن وجنتي سوريل تلونتا لدى استرجاعها لذكرى تلك

www.elromancia.com

الليلة، فأعطت ريس الأمل بردة فعلها هذه. قال: «أنا بحاجة إليك. أنا بالكاد أستطيع أن أفكر بتمضية يوم آخر من دونك. لا أستطيع إخراجك من أفكاري ولو للحظة. ألا تعلمين ذلك؟».

- حسناً! أنا...

- أنا صدقاً آسف، حبيبتي. لم أقصد أن أتصرف ببرودة كبيرة عندما أخبرتني أنك حامل. لم أكن حقاً أعلم ما يعنيه لك إنجاب طفل، وحتى لو أخبرتني فلا أظنني كنت قد أصغيت. فقط بعد أن أجهضت الطفل أدركت أهمية الحياة التي خسرناها... وتلك الفرصة الثمينة بأن نصير عائلة واحدة.

بدت سوريل مصعوقة، أما عيناها الزرقاوين فركزتا بدقة على ريس كما لو أنها لا تصدق فعلاً ما يقوله.

- وأنا أيضاً لا ألومك على أسلوب تصرفك معي بعد أن خسرتِ الطفل. كان يجدر بي أن أكون أكثر تفهماً، لكنني كنت نافد الصبر للحصول على حبك. خشيت أن تنسحبي إلى داخل نفسك، إلى درجة أنني لن أجدك مجدداً... وبأنك قريباً لن تعودي بحاجة إلي أبداً. ذلك أخافني حتى الموت، سوريل. أما الآن، فجل ما أريده هو أن تعودي إلى المنزل معي.

- أتقصد إلى لندن؟

- لدينا منزل هناك، أليس كذلك؟ لكن إذا كنت لا تحبين ذلك المكان... إذا كنت ترغبين بأن نشتري منزلاً آخر في مكان آخر... فما عليكِ إلا أن تخبريني بذلك.

إنه مستعد لأن يقيم في أي مكان في العالم ما دامت سوريل موجودة إلى جانبه. لِمَ تراها لا تفهمه؟

- سأقوم بكل ما يجعلك سعيدة، حبيبتي. هذا كل ما أريده من الآن فصاعداً.

استجلبت كلمات ريس ابتسامة سعيدة لا متناهية إلى شفتي

سوريل، فأخذ النور والأمل يتدافعان بسرعة عبر مجرى دمائها. كاد هذا الإحساس يجعلها تهذي من فرط السعادة.

- أنا أيضاً أرغب بأن أجعلك سعيداً، ريس! هذا ما أردت أن أكلمك بشأنه! كل هذه الأمور التي قلتها أردت أن أقولها لك أيضاً... أنا أشعر مثلك تماماً. المنزل ليس مجرد عنوان، في ما يخصني أنا... إن منزلي هو حيثما تكون أنت.

- أتعنين ذلك حقاً؟ لا يمكنني أن أتحمل أن تقولي لي ذلك فقط كي ترضيني وتهدئيني. إذا كنا ننوي إنجاح زواجنا، يجب أن يكون هنالك صدق مطلق بيننا، وثقة مطلقة أيضاً. هل توافقيني الرأي؟

لاحظت سوريل أشباح الألم ما تزال تتباطأ على حافتي فمه، ما جعلها تتوق لأن تذهب إليه، وتعانقه بحزم ولا تفلته أبداً.

- أنا موافقة... من أعماق قلبي.

- هل يمكنك أن تسامحيني على تصرفي كالأبله؟ أنا أحبك، سوريل. أنت حياتي... إن أي نجاح قد أحققه لن يعني شيئاً بالنسبة لي إن لم تكوني إلى جانبي لأشاركك به. إن النجاح الوحيد الذي أبغي تحقيقه هو زواج سعيد ناجح معك أنت. هل لي أن آمل بأنك ترغبين بملاقاتي في منتصف الطريق؟

- لا!

- ماذا؟

تلاشى الأمل الذي ظهر في عيني ريس وهو يتكلم، خلال لحظة. أما سوريل فلم تقوَ على منع نفسها من الابتسام وهي تتجه نحوه، فيما بدا قلبها مغموراً بحب كبير تجاهه لدرجة أنها سارت كأنها تطوف نحوه. إنه يحبها! إنه يحبها حقاً!

- أنا لا أريد أن ألاقيك في منتصف الطريق ريس. لو عدنا إلى بعضنا البعض فإنك ستحصل على التزامي التام بأن أجعل هذه العلاقة ناجحة، وأنا أريد الالتزام نفسه منك. كل شيء أو لا شيء! لأنني

بكل بساطة لن أرضى بأقل من هذا.

- تبدو هذه صفقة جيدة جداً بالنسبة إلي. سأكون غبياً إن لم أقبل بها، ألا تظنين؟

- أنت أبعد ما تكون عن الغباء، ريس... أنا أيضاً لا يمكنني أن أعيش من دونك... خفت كثيراً عندما قلتَ لي إننا بذلنا كل ما في وسعنا ولم ينجح الأمر.

- لا بد أنني كنت مجنوناً. كنت محبطاً واختلطت علي الأمور. أعترف أنني قمت ببعض الخيارات الخاطئة في حياتي، لكن لابد أن ذلك كان الأسوأ. مهما يكن، الآن بما أنني استعدتك، فلن أدعك ترحلين أبداً.

لم يضطر ريس إلى جذبها بقوة إلى ذراعيه. ضمها إليه وعانقها بشغف وحرارة، محاولاً إطفاء لهيب شوقه إليها. أحست سوريل بلهفته وشوقه فبادلته العناق بشوق مماثل.

بعد لحظات سألته: «أهذا وعد؟».

رد ريس وهو يضمها إليه من جديد: «أقسم بحياتي».

كادت مشاعر سوريل تنفجر من صدرها، فقالت بنعومة: «أنا لاأحاول أن أجعلك شيئاً لا ترغب أن تكون عليه ريس. كان من الخطأ أن أحاول دفعك لأن تصير والداً وأنا أعلم أنك لا تريد أن تصبح كذلك. لا هم إن لم ننجب الأطفال. إنهم مهمون بالنسبة إلي، لكنني لا أرغب بخسارتك أنت. سوف أرافقك حيثما تريدني أن أذهب، ما دام بإمكاننا أن نبقى سوياً».

علم ريس أن سوريل عنت ما تقوله، فأحس بحبه لهذه المرأة يزداد عمقاً ليملأ كيانه. إنه لا يريد أن تقوم سوريل بالمزيد من التضحيات لأجله. لا سيما الآن، بعدما صار واثقاً جداً من أنه يرغب بعائلة أيضاً. كان من الممكن أن يتأذى أو حتى أن يقتل في حادث السيارة ذاك، أما بعد أن نجا من الكارثة، فتصور أن لديه ملاكاً حارساً.

استعاد ريس ذكرى ذاك اليوم في تلك الكنيسة البرتغالية الجميلة، حيث تخيل رائحة الورود وهي عطر والدته المفضل، لذا تساءل إن كانت والدته ذاك الملاك الحارس. في الواقع، اعتبر أن والدته تمنحه بركتها بصمت، وتحاول أن توصل له الرسالة بأن الأطفال هم أثمن الهدايا. نجا ريس من ذاك الحادث لسبب ما. صار مقتنعاً الآن أن السبب هو سوريل والعائلة التي سيؤسسانها سوياً...

- منزلي هو حيث تكونين أنت يا سوريل... أنا أعني هذا. كنت أنانياً، ولم أفكر بك وأنت تمضين الكثير من الوقت بمفردك، فيما أنا أعمل. من الخطأ أن أتوقع منك أن تلحقي بي إلى كل مكان كما لو كنت غجرية من دون جذور... لاسيما أنني لم أكن مستعداً لأن أصغي إلى ما تريدينه فعلاً. أنا آسف، حبيبتي. أنت لا تطلبين مني أن أتحول إلى شيء لا أريده، فأنا أرغب بأن ننشئ عائلة سوياً. أنا صدقاً شعرت بالدمار عندما خسرت طفلنا.

- ريس...!

سحبت سوريل رأسه نزولاً نحو رأسها، فلامست وجنته برفق، فيما غمرت المشاعر قلبها إلى درجة أنها بالكاد استطاعت أن تجد الكلمات المناسبة لما تريد قوله.

- سوف تكون أفضل والد وأفضل زوج على الإطلاق... أنا بكل بساطة أعرف هذا.

- إذاً دعينا لا نهدر المزيد من الوقت في جعل ذلك يصير حقيقة، حبيبتي.

بدت ابتسامة ريس مزيجاً ملائكياً وشيطانياً، أسكت سوريل على الفور بعناق أذاب أوصالها...